السبت 24 تموز 2021
العدد 4396 السنة الخامسة عشرة
Samedi 24 juillet 2021 nº 4396 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

جبور الدويهي
الرواية اللبنانية يلفّها الحداد

غجر يوقّع الاتفاقيّة مع العراق اليوم... وتسليم الفيول في غضون أسبوع [6]

أزمة الدواء تكبر: لا استيراد ولا توزيع ولا بَيع! [6]

بعد التكليف... التأليف ليس مضموناً [4]

انفجار المرفأ
العدالة كاملة... أو لا عدالة
[3 ـ 2]

(مروان طحطح)

الحدث

إيران تُدشّن مساراً جديداً للنفط
«غوره جاسك» يتحدّى العقوبات

12

تقرير

أوروبا «تهادن» الصين:
مصالحنا أوّلاً

13

سوريا

«كورونا» خارج جدول الأعمال:
إهمال وإنكار وغياب شفافيّة

14

على الغلاف

بيطار أمام الاستحقاق: العدالة كاملة... أو لا عدالة

حسن عليق

لا جدوى من توجيه الكلام إلى فريق الادّعاء السياسي في جريمة المرفأ. فهذا الفريق، بأحزابه وجمعياته ووسائل إعلامه و«حقوقييه»، قرّر القيام بالدور الذي أداه الصحافي فارس خشان عام 2005، بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري. عامذاك، تولّى خشان، عبر تلفزيون المستقبل، «قيادة» التحقيق والرأي العام، وتحديد المسموح والممنوع، والواجب أن يُستجوَب من ينبغي استجوابه. في ذلك الزمن الرديء، كان الحديث عن رئيس لجنة التحقيق الدولية، ديتليف ميليس، يكاد لا يخلو من إضافة لقب «الثعلب الألماني» إلى اسمه، في إطار المديح طبعاً، قبل أن يتبيّن أنه نصّاب استقدم خصيصاً للتغطية على القيام بانقلاب سياسي ـ أمني، بذريعة «الحقيقة لأجل لبنان». وحينذاك، كان أيّ انتقاد لميليس أو لأحد مساعديه، حتى المرتشين منهم، يُعدّ مشاركة مباشرة في اغتيال الحريري، أو ـ على أقل تقدير ـ في التغطية على المجرمين.

فريق الادّعاء السياسي ـ الإعلامي ـ «الحقوقي» في جريمة انفجار المرفأ، مصرّ اليوم على استنساخ تجربة خشان وتلفزيون المستقبل وفريق 14 آذار عام 2005. يستنسب في اختيار «الأهداف»، فيركّز هجومه على «مدّعى عليهم» دون غيرهم. فعلى سبيل المثال لا الحصر، المطلوب اليوم رأس عباس إبراهيم، لا غيره من القادة الأمنيين. ومشكلة النيابة العامة التمييزية تصبح محصورة في رفضها منح إذن ملاحقة إبراهيم، رغم تفاهة الأدلة المساقة ضد الأخير: أنه تبلّغ في شهر حزيران 2020 بأن المديرية العامة لأمن الدولة تحقق في مسألة نيترات الأمونيوم في المرفأ، بإشراف النيابة العامة التمييزية، ولم يحرّك ساكناً؛ كما لو أنه يحقّ له التدخل في تحقيق قضائي بشأن مواد موضوعة أصلاً تحت الحراسة القضائية! تُحصر المسألة في عدم منح المحامي العام التمييزي القاضي غسان خوري الإذن بملاحقة إبراهيم، ولا يؤتى على ذكر أن أرباب السلطة القضائية، تولّوا حماية القضاة المشتبه فيهم في قضية المرفأ، علماً بأن هؤلاء القضاة هم الذين قرروا إدخال النيترات إلى الميناء، وقرروا وضع حراسة قضائية عليها، كما قرروا لاحقاً عدم منح الإذن للتخلص منها (ليس المقصود هنا اتهام هؤلاء القضاة بالمسؤولية عن الانفجار. فهم لم يأمروا بوضع النيترات في العنبر الرقم 12، إلى جانب كل مكوّنات «القنبلة» التي انفجرت يوم 4 آب، ولا بترك العنبر مهملاً، ولا بتلحيم الأبواب من دون وقاية).

لكن، رغم التشابه في أداء فريقي الادعاء بين 2005 و2020، يبقى الفارق الأساسي أن المحقق العدلي القاضي طارق بيطار، ليس ديتليف ميليس، ولا هو راغب في تكرار التجربة. ولأجل ذلك، ينبغي توجيه الكلام إليه وحده.

منذ ورائته ملف التحقيق عن القاضي فادي صوان، أظهر بيطار أداءً مغايراً لأداء سلفه، لجهة إطلاق سراح بعض «صغار المسؤولين»، والتركيز على من هم أعلى رتبة ومسؤولية وصلاحية. وعندما وجّه طلبات الادّعاء والإذن بالملاحقة، وجهه بالحصانات:

أولاً، مجلس النواب قرر تثبيت حصانة الوزراء ورؤساء الحكومات، وإحالة الملف على المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء. ورغم أن هذا الإجراء هو حق قانوني ودستوري للسلطة التشريعية، فلا يجوز تجاهل غياب الثقة العامة بأي إجراء سياسي. كما لا ينبغي تجاهل أن «المجلس الأعلى» هو أقرب ما يكون إلى مجلس لمنع المحاكمة ومسؤولية وصلاحية. وعندما وجّه طلبات الادّعاء والإذن بالملاحقة، وجهه بالحصانات:

أولاً، مجلس النواب قرر تثبيت حصانة الوزراء ورؤساء الحكومات، وإحالة الملف على المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء. ورغم

(هيثم الموسوي)

البرلمان ماضٍ في إجراءاته: إلى «المجلس الأعلى»

على بعد أيام من الذكرى السنوية الأولى لانفجار مرفأ بيروت، يُعدّ الوزراء السابقون المدعى عليهم مطالعاتهم للردّ على عريضة الاتهام النيابية كما على التهم الموجهة إليهم من قبل المحقق العدلي طارق بيطار قبل إرسالها يوم الاثنين إلى الأمانة العامة لمجلس النواب. النائب نهاد المشنوق استبق مثوله أمام الهيئة العامة، وترافع عن نفسه في مؤتمر صحافي أمس

ميسم رزق

لم ينتظر وزير الداخلية السابق والنائب الحالي نهاد المشنوق جلسة المثول أمام الهيئة العامة لمجلس النواب. استبق ذلك بخطوة ترافع فيها عن نفسه أمام الرأي العام، قبل أن يوكل المهمة لمحاميه الذي سيتولّى ذلك في وجه النواب الذين طلبوا اتهامه بالضلوع في جريمة مرفأ بيروت. المشنوق على ما يبدو لم يعُد قادراً على حمل «ثقل» التهمة، فظنّ منه أن نفيها بـ«لاؤل دستورية – قانونية» أمام الناس قبل زملائه قد ينصفه. وفي مؤتمر صحافي أمس، أعلنَ أنه «وصلني مستند واحد حول الباخرة روسوس والنيترات من 2014 حتى لحظة مغادرتي الوزارة وسألت عمّا يكون النيترات فكان الجواب مادّة تُستخدم سماداً زراعياً». وقال إنه «لا علم لي بأن النيترات نزلت على الأراضي اللبنانية، الإرمة الأمنية في مرفأ بيروت هي للجيش اللبناني»، سائلاً «كيف لبضاعة تمر من خلال ترانزيت أن تُثبت شبهة جدية ووفق أي منطق؟ إذا كان عليّ شبهة جدية فالقاضي الذي أمر بإنزال البضاعة ووضعها في العنبر اتهام وإذن بالملاحقة أمام المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء، استناداً إلى القانون 13 الصادر عام 1990»، التي وقعها عدد من النواب، على أن تُرسل هذه المطالعات يوم الاثنين إلى الأمانة العامة لمجلس النواب، والتي ستُرسلها بدورها إلى النواب للإطلاع عليها خلال مدة لا تتجاوز العشرة أيام، ليُصار بعدها إلى الدعوة لجلسة للهيئة العامة، حيث سيترافع الوزراء الأربعة المدعى عليهم عن أنفسهم أو عبر محاميهم، ومعهم رئيس حكومة تصريف الأعمال حسان دياب.

وفي هذا الإطار، علمت «الأخبار» أن اتصالات تنسيقية حصلت بينهم للاتفاق على السياق الذي سيسيرون به للرد على عريضة الاتهام استناداً للمادة 90/13، وعلى التهم التي وردت في كتب المحقق العدلي التي حددت «الأمور التي قد يتبيّن منها شبهة». وبحسب المعلومات «سيسرد هؤلاء ما حصل معهم بالتفصيل لجهة المراسلات التي وصلتهم، والجهة التي أرسلت إليهم المراسلات وماذا ورد فيها وكيف تمّ التعامل معها، وأبرز نقطة فيها أنهم كمدنيين لا يعلمون بماهية هذه المواد، وأنهم كوزراء لا صلاحية لديهم لأن القضاء هو من وضع يده على الملف». وبما أن نصّ القانون يقضي بأن يكون هناك محام مع كل مدعى عليه، فقد أوكل المشنوق المحامي نعوم فرح، أما زعيتر فربما يوكل المهمة إلى المحامي سامر الحاج. أما خليل وفنيانوس فقد قرّرا أن يترافعا عن أنفسهما باعتبارهما محاميين.

العريضة النيابيّة لا تزال سارية لأن التراجع عنها في الإعلام لا يكفي

ومن المفترض أن يسير الملف في المجلس وفقَ الآتي: بعدَ تحديد جلسة للهيئة العامة يقدّم فيها المدعى عليهم مرافعاتهم، يذهب المجلس إلى التصويت. وإما يتبنّى الاتهام بالثلثين ويحال الملف على لجنة تحقيق نيابية (مؤلفة من رئيس وعضوين يجري انتخابهم بالاقتراع السري) أو يرفض العريضة ويقول بأن «لا تهم تستوجب محاكمتهم». وفي حال وافقت الهيئة العامة على العريضة تؤلف اللجنة وتحقق معهم وترفع تقريرها إلى الهيئة العامة لمجلس النواب من جديد، فإذا صوت المجلس بالثلثين، يمثل المدعى عليهم أمام المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء بحسب المادة 71 من الدستور. كذلك يُصدر المجلس الأعلى أحكامه بأكثرية 10 أعضاء من أصل مجمل أعضائه البالغ عددهم 15 عضواً (8 قضاة و7 نواب).

وبعدَ أن أثار إعلان كلّ من نائبي كتلة «المستقبل» ديما جمالي وسامي فتفت وعضو كتلة «الحزب السوري القومي الاجتماعي» النائب سليم سعادة والنائب عن جمعية المشاريع الإسلامية عدنان طرابلسي وعضو كتلة «الوسط المستقل» نقولا نحاس سحب تواقيعهم عن عريضة الاتهام لجدل حول قانونيتها، أكدت مصادر نيابية أن «ذلك حصل عبر التصريح على وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي وهذا لا يسقط عن العريضة قانونيتها، لأن التصريح الشفهي لا يُعتد به بل سحب التواقيع يجب أن يتمّ بكتب خطية تسجّل أصولاً لدى المجلس النيابي». أما سياسياً، فقد قالت مصادر مطلعة أن «الرئيس سعد الحريري تحدث إلى نواب كتلته وأبدى انزعاجاً من هذه التصاريح، كما أجرى اتصالات مع الرئيس نجيب ميقاتي كي يتراجع نحاس عن سحب توقيعه». وفي هذا السياق، تساءلت المصادر عمّا إذا كانَ الخمس المطلوب للتوقيع على العريضة سيبقى مؤمّناً، وعما إذا كانَ عدد الثلثين المطلوب للموافقة على توجيه الاتهام أيضاً سيكون متوافراً في حينه، أم سيؤدي الملف إلى اشتباك سياسي كبير في الهيئة العامة، بخاصة أنّ «هناك انقساماً كبيراً وعميقاً بين الكتل النيابية، حتى المتحالفين». في وقت دخلَ الملف النفق السياسي - الانتخابي، وظهر التعامل معه وأضحاً لجهة استغلال دماء الشهداء واستثماره بالمزايدات.

وكانت لجنة أهالي ضحايا وشهداء المرفأ قد نظمت وقفة احتجاجية أمس أمام قصر العدل. وطالب أهالي النيابة العامة التمييزية بـ«إعطاء إذن الملاحقة في حق المدير العام للأمن العام، اللواء عباس إبراهيم، لمثوله أمام المحقق العدلي، مع التأكيد على رفع الحصانات السياسية عن المسؤولين المدعى عليهم، وعلى إصدار رئاسة الحكومة الإذن بملاحقة اللواء طوني صليبا».

المحقّق العدلي يواجه تهمة «التسييس»:

لن أتراجع

رضوان مرتضى

«تسييس التحقيق»، هي التُّهمة التي توجّه للمحقق العدلي في انفجار مرفأ بيروت القاضي طارق البيطار. وهذه التُّهمة تحوّلت إلى قناعة راسخة لدى الفريق السياسي الذي ينتمي إليه المدعى عليهم الجُدد في أكبر انفجار غير نووي شهدته مدينة بيروت. ينطلق هؤلاء في ادعائهم من استبعاد القاضي بيطار مسؤولية سياسيين وأمنيين من خانة الشبهة والادّعاء، لا سيما قيادة الجيش الحالية المتمثّلة بقائد الجيش العماد جوزيف عون ومدير المخابرات السابق طوني منصور. ويأخذون عليه قبوله من قائد الجيش هاتفاً عسكرياً ومجموعة عناصر من فرع المكافحة في الجيش لمرافقته وحمايته في تنقّلاته منذ توليه التحقيق، بينما كان الأنسب له وللتحقيق، لكون الجيش مشتبهاً فيه، ومراعاة لاستشعار الحرج، بأن يكون عناصر حمايته ومرافقته من قوى الأمن الداخلي على اعتباره الجهاز الوحيد الذي أسعفه الحظ بعدم وجود مكتب له في مرفأ بيروت. بالتالي، فإنّه خارج الشبهات في نظر المحقق العدلي.

كذلك يُضاف إلى قيادة الجيش كل من وزراء العدل والدفاع والداخلية ورؤساء الحكومات الذين تعاقبوا على الحكم منذ دخول نيترات الأمونيوم مرفأ بيروت. ويرى أصحاب «نظرية المؤامرة» أنّه طالما أنّ الحُكم استمرارية، فإنّ مقتضى العدالة كان يشملهم بالادعاء والشبهة، ريثما تتبين الحقيقة كاملة بظهور البراءة أو ثبوت الإدانة عوضاً عن التشهير بفئة من دون أخرى. ويُعزز هؤلاء فرضيتهم بأنّ أهالي ضحايا مرفأ بيروت كانوا يُشكّكون بأداء القاضي بيطار لدى تعيينه، إلا أنّه بادعائه الذي طال فيه المسؤولين المذكورين تمكن من كسب الأهالي إلى جانبه. وينطلقون من هذه النقطة ليتحدثوا عن شعبوية تحكم عمل المحقق العدلي ويستدلّون عليها بإبلاغه المدعى عليهم عبر الإعلام. ويتحدث أحد المسؤولين المدعى عليهم لـ«الأخبار» عن توجه لإقامة شكوى ضد القاضي بيطار لطلب رده جراء المقابلة الصحافية التي أجراها مع وسيلة إعلامية (موقع تلفزيون «العربي»)، خارقاً سرية التحقيق وموجب التحفّظ ومبدياً موقفاً في الملف ومستبقاً انتهاء التحقيق باستبعاده بعض الفرضيات.

هذه الاتهامات يُردُّ عليها في قصر العدل بأنّ المحقق العدلي لم يُسرّب الادعاء أو البلاغات عبر الإعلام، إنما عمد إلى إرسالها إلى النيابة التمييزية بمغلّف مغلق لإرساله إلى المجلس النيابي ووزارة الداخلية ورئاسة الحكومة. وكذلك فعّل عندما رفض تزويد المجلس النيابي بمستندات إضافية بشأن النواب المدعى عليهم لاعتباره ذلك خرقاً لسرية التحقيق، ليُراسلهم عبر النيابة العامة التمييزية ووزارة العدل قبل أن يُفاجأ المحقق العدلي نفسه بقراره منشوراً في الإعلام. وفي ما يتعلق بقبوله الحماية من الجيش، فإن التبرير بأن «الجيش هو جيش الوطن ولا يُمثّله بضعة ضباط وإن كانوا في دائرة الشبهة». أما بشأن عدم شمول الادعاء الجميع، فتتحدث مصادر معنية بالتحقيق أنّ «المنهجية المتبعة في رسم مسار التحقيق أوصلت إلى الادعاء على المذكورين لكون التحقيقات المجراة ولدت قناعة لدى القاضي بوجود شبهة تقصير عليهم». أما تهمة أنّ معظمهم ينتمون إلى فريق سياسي واحد، فتُجيب المصادر بأنّها مردودة لكون القاضي أصلاً ليس محسوباً على أي فريق سياسي، مذكرة بأنّه لو كان هناك نية مبيتة بالاقتصاص من طرف من دون آخر، لما كان رفض القاضي بيطار تولّي الملف في المرة الأولى عندما عُرض عليه. بالتالي، فإنّ ذلك يعني أنّ هناك أسماء أخرى سيُصار إلى الادعاء عليها تبعاً لمجريات التحقيق.

من سبق الجميع إلى تثبيت الحصانات، هو المحقق العدلي نفسه

وبالعودة إلى مسؤولية الجيش، تُبرز مصادر التحقيق بأنّ المحقق العدلي لم يدّع على العماد جوزيف عون والعميد طوني منصور لكونه لا يوجد أي مستند يُثبت معرفتهما بأمر النيترات. ويُستدل بذلك من التدقيق في المستندات التي سلّمها الجيش للمحقق العدلي، والتي تُبيّن أنها بمعظمها كانت أيام القيادة السابقة مع العماد جان قهوجي. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى مسألة بالغة الأهمية. إذ إنّ عامي 2013 و2014 (تاريخ دخول النيترات وتفريغ السفينة) كانا أكثر عامين شهد فيهما لبنان تفجيرات إرهابية وانتحارية. وهذا وحده كان يفرض أن يكون هناك استنفاراً استثنائياً للجيش على اعتبار أنّ هذه التنظيمات كانت تستخدم النيترات في تصنيع المتفجرات، إلا أنّ الاستخفاف والتهاون الذي تعاملت به قيادة الجيش يومها لم يكن له أي تفسير. ولكن، رغم الادعاء بأنه لا وجود لمستندات تبيّن معرفة القيادة الحالية بأمر النيترات، تُحيل مصادر مطلعة المحقق العدلي إلى برقية صادرة عن غرفة عمليات الجيش عام 2018 تُبلغ فيها عن غرق السفينة روسوس في مرفأ بيروت والتي كانت محمّلة بالنيترات. وإن لم يكن هذا المستند كافياً، فإنّ ذلك لا يُعفي القيادة الحالية من مسؤولية الإهمال بالمطلق.

لا تقف الاتهامات التي توجه للقاضي بيطار عند حدّ. إذ تُتّهم المحقق العدلي بأنّه يُنفّذ أجندة سفارات أجنبية تسعى لاستغلال انفجار مرفأ بيروت كـ«قميص عُثمان» لإعادة إشعال النار في الشارع اللبناني المُعدّ أصلاً ضد السلطة السياسية. غير أنّ ما يؤخذ على البيطار لجهة لقائه بوفود من سفارات أجنبية، فله تبريراته في العدلية. فقد علمت «الأخبار» أنّ المحقق العدلي استقبل وفداً من السفارة الفرنسية ووفداً من السفارة الأميركية لسؤاله عن اثنين من الموقوفين في ملف الانفجار، لكون أحدهما يحمل الجنسية الأميركية فيما الثاني (مهندسة مسؤولة عن عمل الشركة التي تولت التلحيم) يحمل الجنسية الفرنسية. وكانت الزيارتان، بحسب مصادر قضائية، من ضمن الإجراءات القنصلية العادية التي تقوم بها جميع السفارات عندما يتم توقيف أحد رعاياها في لبنان.

وفد أميركي وآخر فرنسي يزوران البيطار بسبب موقوفَين من رعايا البلدين

أخذُ ورد لا يبدو أنه سينتهي في القريب العاجل، بل سيشتدّ مع كل يوم نقترب فيه من ذكرى انفجار الرابع من آب. تصعيدٌ في المعسكرين واتهاماتٌ كثيرة لن يكون المحقّق العدلي في منأى عنها، إلا أنّ الثابت أنّ القاضي بيطار لن يتراجع بملء إرادته.

«سيدنا... هيدا سماد زراعي»

في ملف التحقيق بانفجار المرفأ، تظهر إفادات عدد من الموقوفين والمستجوَبين، كيفية تعامل القوى الأمنية مع «القنبلة» التي انفجرت في مرفأ بيروت ودمّرت أجزاء منه مع أحياء، من بيروت، وتسببت بسقوط أكثر من 200 شهيد وآلاف الجرحى. قبل الانفجار بأسابيع، وردت إلى رئاسة الحكومة معلومات من المديرية العامة لأمن الدولة عن النيترات في المرفأ. فبعث رئيس الحكومة حسان دياب ضابطاً يعمل في السرايا الحكومية إلى الميناء لاستطلاع الأمر، تمهيداً لقيام دياب بزيارة المرفأ والكشف عن وجود مواد متفجرة وإعلان التخلص منها لإنقاذ بيروت من كارثة. وصل الضابط الذي التقى يومها الرائد في أمن الدولة جوزيف النداف. ألقى نظرة على العنبر رقم 12 من الفجوة الموجودة في جواره، ثم تنحى جانباً ليُجري اتصالاً قال فيه: «سيدنا... هاي سماد زراعي». هنا تدخّل النّداف ليقول له إنّها مصنّفة متفجرة بسبب نسبة الآزوت العالي. وأخبره أنّ ذلك مذكور في المانيفست الذي عرضه عليه. أكمل الضابط اتصاله مع ضابط أعلى منه رُتبة ثم ضابطاً يعمل في السرايا الحكومية إلى الميناء لاستطلاع الأمر، تمهيداً لقيام دياب بزيارة المرفأ والكشف عن وجود مواد متفجرة وإعلان التخلص منها لإنقاذ بيروت من انسحب. لاحقاً، نُصح دياب بصرف النظر عن مسألة زيارة المرفأ وفكرة إعلان «اكتشاف» كمية من المواد القابلة للانفجار في قلب العاصمة.

المشهد السياسي

بعد التكليف... مسار التأليف ليس محاطاً بالورود

الاسم الأكثر تداولاً للتكليف بتأليف الحكومة الجديدة يوم الاثنين هو رئيس الوزراء السابق، نجيب ميقاتي. هذا في حال لم يتحقّق ما يتحدّث عنه مسؤولون سياسيون من وجود إمكانية - ولو ضئيلة - لتأجيل الاستشارات في قصر بعبدا، أن يكون الاختيار شبه محسوم، والشخصية معروفة بعلاقاتها الإقليمية - الدولية وبحيثيتها الشعبية في طرابلس، لا يعني أنّ السرعة والحسم ينسحبان على التكليف. فالعقبات التي أوصلت سعد الحريري إلى الاعتذار عن عدم تشكيل الحكومة لم تُذلل بعد، ومن أبرزها منحى العلاقة بين فريق رئاسة الجمهورية - التيار الوطني الحرّ من جهة، وميقاتي من جهة أخرى. الأخير يعود يوم غدٍ من اليونان، مُتسلحاً بما يعتبره «دعماً غربياً» لترشيحه من العواصم الرئيسية: واشنطن، باريس، مصر... أما السعودية فهي وإن لم «تُبارك» التكليف لرغبتها باستمرار الفراغ الحكومي وعدم إيجاد حلّ للانهيار الحاصل، ولكنّها في الوقت نفسه لم تُشهر الورقة الحمراء بوجه ميقاتي. وفي الداخل، يقف إلى جانبه رئيس مجلس النواب نبيه برّي الذي تواصل مع الحريري وسمع منه موافقته على تسمية نجيب ميقاتي أو الرئيس السابق تمّام سلام. وبما أنّ الأخير أبلغ رفضه التكليف، لن يبقى أمام الحريري سوى تسمية غريمه الانتخابي والسياسي. ويجري التداول في أنّ الحريري التقى ميقاتي في الساعات الماضية في اليونان، وبأنّ نائب طرابلس تلقى اتصالاً من الرئيس ميشال عون للبحث في الحكومة الجديدة.

> سيعتمد ميقاتي خطة العمل التي وضعها ايام تكليف مصطفى اديب

على الرغم من هذه المعطيات «المُريحة» نوعاً ما، إلا أنّ ميقاتي لا يستعجل الإعلان عن أي موقف بما خصّ التكليف. بدأت تتكوّن «جبهة» سلام الدبلوماسية، التي تزامنت مرحلتها منها مع تولّي جبران باسيل وزارة الخارجية والمغتربين، لم تكن تربطهما علاقة جيدة، بل اختلفا على طريقة التعبير عن مواقف سيادية وسياسية في ملفات عدة، أبرزها اللاجئون السوريون.

يُحاذر ميقاتي المبالغة بالإيجابية، ليس بسبب الرفض المسبق له من البعض، بل أيضاً لعدم ثقته بالمواقف السياسية المعلنة، والمؤيدة له. يحمل لائحة شروط يُريد موافقة القوى السياسية عليها قبل قبوله تأليف الحكومة. يُروّج لكونه «مُنفتحاً على الجميع، ولا يسعى إلى عداوات مع أحد». لا يريد أن يستغرق التأليف أكثر من 15 يوماً، وأن يتراوح عدد الوزراء بين 18 و24 كحدّ أقصى. ما قد «يُسهّل» مسودة التشكيلة، أنّ ميقاتي سيعتمد خطة العمل التي وضعها بنفسه أيام تكليف السفير مصطفى أديب، أكان على صعيد توزيع المقاعد الوزارية والحصص أو الأسماء المُرشحة لتبوؤ مناصب وزارية. التواصل غير مقطوع بينه وبين صندوق النقد الدولي، ويُنقل عدم اعتراض ميقاتي على الشروط المطلوبة ومنها إعادة هيكلة القطاع المصرفي. يرفض ميقاتي أن توصف حكومته حصراً بـ«حكومة الانتخابات»، لأنّه لم يحسم أمره بعدم الترشح إلى الانتخابات النيابية المقبلة، واحتمال ترؤسه الحكومة التي من بعدها حتى. أما الحكومة الحالية، فمن مهامها تطبيق مشروع الكهرباء الذي يحمله ميقاتي، ويُروّج فريقه إلى انتهاء الدراسات المتعلقة به «ولا ينقصه سوى عدم عرقلته».

طريق ميقاتي نحو تشكيل الحكومة ليس مرصوفاً بالورود، والحديث عن تاريخ 4 آب كحدّ أقصى لتأليفها لا يُعدّ أكثر من سيناريو تضغط الرئاسة الفرنسية لتحقيقه. الأمور غير مضمونة، بخاصة إذا اعتمد ميقاتي الأسلوب ذاته الذي اعتمده الحريري، لجهة الصدام مع فريق رئاسة الجمهورية ورفض التنسيق مع باسيل حصراً في مقابل التشاور مع بقية القوى السياسية. عندئذٍ، يكون مصير تكليف ميقاتي كمصير سابقه. وقد رفع التيار الوطني الحرّ من درجة الضغوط، إذ تُشير مصادره إلى التوجّه «نحو الاستقالة من مجلس النواب، وفرض الانتخابات المبكرة، في حال لم تُشكّل الحكومة بسرعة».

(الأخبار)

في الواجهة

عون - ميقاتي: المحسوم والمحسوب مابين 2011 و2021

إذابانّ محسوماً تسمية الرئيس نجيب ميقاتي الاثنين رئيساً مكلفاً جديداً غير المحسوب. وقد يكون مبهماً مساره. المحطة التالية المزدوجة الصعوبة: تأليف الحكومة، والعلاقة المفترضة مع رئيس الجمهورية ميشال عون. صاحب التوقيع الاخير على مراسيم التأليف

نقولا ناصيف

أحد دروس تجربة الأشهر الثمانية التي أمضاها الرئيس المكلف السلف سعد الحريري، تأكيد خفّة معادلات وُضعت في ذروة تدهور علاقته برئيس الجمهورية ميشال عون، واستعصاء توصلهما إلى اتفاق على تأليف الحكومة. إحدى المعادلات تلك أن التكليف نهائي. ما إن يأخذه صاحبه، لا يُسترجع أو يُنتزع منه. أما الأخرى، فربط اعتذار الرئيس المكلف بتنحّي رئيس الجمهورية كأن يكون هذا شرط ذاك. ما حدث في 15 تموز أفضى إلى تأكيد المؤكد أيضاً، وهو أن توقيع رئيس الجمهورية يجعله شريكاً في التأليف، على نحو متساوٍ كي تبصر الحكومة النور، من غير أن يكون متزامناً.

ليس اثنين ما بعد غد، المرة الأولى يجد عون والرئيس نجيب ميقاتي أن أحدهما سيكون قبالة الآخر في استحقاق ملزم تعاونهما، كي يستمرا معاً أو يفترقا. اختبرا هذا التعاون بصعوبة مكلفة، ولم ينجحا في امتحانه إبان الحكومة الثانية لميقاتي عام 2011. كان عون رئيس الكتلة المسيحية الأكبر، وجزءاً من غالبية نيابية أتاحت له للمرة الأولى الحصول بمفرده على 10 وزراء، هم ثلث الحكومة تلك. بدوره ميقاتي واجه اختباراً سنّياً صعباً، رافقه عمر حكومته طوال سنتين وشهرين، بدأ منذ تكليفه في كانون الثاني 2011، وتسجيله سابقة غير متوقعة هي هزمه الحريري، للمرة الأولى في تاريخ هذا البيت. في الاستشارات النيابية الملزمة بفارق ثماني أصوات أخرجته من السرايا. حمل ذلك الحريري على تحريض الشارع السنّي عليه في كل لبنان، بما في ذلك طرابلس، وإشعال الاضطرابات فيها وإطلاق شعارات مذهبية حادة، ثم مقاطعة تيار المستقبل التصويت على الثقة بالحكومة الجديدة، والتسبّب بقطيعة عربية لخلفه.

في ثالثة حكوماته، المفترضة، تبدّلت المواقع والعداوات والتحالفات: بات عون في الثلث الثالث من ولايته الرئاسية، والحريري شريك ميقاتي في نادي رؤساء الحكومات السابقين. شأن إصرار ميقاتي على تكليف الحريري منذ ما بعد تشرين الأول 2020، ودعمه في كل خياراته ومواصفاته لتأليف الحكومة، نجمت تسمية نائب طرابلس رئيساً مكلفاً عن تفاهم بين الحريري ورئيس البرلمان نبيه برّي ليس حزب الله بعيداً منه. ذلك أيضاً رافق تكليف السلف المعتذر، من دون الغطاء الشيعي الحتمي في الداخل، يتعذر إمرار أي خيار مماثل. ما إن شاع احتمال تكليف ميقاتي، طُرح سؤال لم يُجب أحد عنه بعد: ماذا يسع رئيس الجمهورية إعطاء الرئيس المكلف ما لم يُعطه لسلفه، كي يتاح تأليف حكومة؟

ليست الصلاحيات الدستورية المتقاطعة بين رئيس الجمهورية والرئيس المكلف، خصوصاً التفسير المتباين للمادتين 53 و64، وحدها منعت تفاهم عون والحريري، بل الخلافات الشخصية التي وصلت إلى حدّ البغض والكره وتبادل الإهانات، ما أحال استمرارهما معاً مستحيلاً؟ أما اليوم، فطرح السؤال يقود إلى إجابة معكوسة: لا رئيس الجمهورية يتغيّر بمثل سهولة الانتقال من رئيس مكلف جرّبه إلى آخر كان أيضاً قد جرّبه، ولا ميقاتي أقل تشدداً من الحريري في الإصرار على تفسيره ورفاقه في نادي رؤساء الحكومات السابقين على نحو ما يرومون المادة 64، إذ يعتبرونها هي الأصل في تحديد نطاق الصلاحية المنوطة بالرئيس المكلف لتأليف الحكومة، وحصر التأليف به وحده. ليس غريباً كذلك أن ميقاتي، كسائر رفاقه في النادي، اتهموا الرئيس بمخالفة الدستور والاعتداء على صلاحيات الطائفة السنّية وانتهاك اتفاق الطائف. وهما الآن سيؤلفان الحكومة المقبلة.

بذلك، فإن مسار التكليف الجديد وماله مرتبطان ببضع معطيات مستجدة وقديمة في آن:

أولها، تُعزى دوافع قبول ميقاتي بتكليفه، إلى أنه لا يسعى وراء لقب حازه مرتين، كلتاهما كانتا في مراحل تحوّل سياسي مهم: أولى عام 2005 على أثر اغتيال الرئيس رفيق الحريري في خضم انقلاب موازين القوى رأساً على عقب، وفوز غالبية مناوئة لدمشق بالانتخابات النيابية. وثانية عام 2011 على أثر انهيار الغالبية هذه وانتقالها من فريق إلى آخر، جسّدته إطاحة حكومة الحريري. مفاد ذلك، إقران ترشيح الرجل بمخاض سياسي صعب. لذا لا تنفصل موافقته على تكليفه عن بعدين محلي وإقليمي، شجعا على اقتراح تسميته رئيساً للحكومة المقبلة: أول البعدين توافر غالبية نيابية تؤيده، مشابهة للتي رُكت تكليف الحريري قبل أقل من سنة.

وثاني البعدين ما يتردّد عن تداول اسمه بين العواصم المؤثرة في الأزمة اللبنانية. تأييد الحريري وبرّي له، وتبعاً لذلك حزب الله، ضروري. بيد أنه غير كاف. كذلك تناقل اسمه بين باريس وواشنطن والرياض كي يدقّ أبواب طهران تحت شعار منع الانهيار الشامل للبنان.

ثالثها، لا يتنكّب ميقاتي كمّاً كبيراً من الأعباء التي أثقلت على الحريري سواء تسبّب هو بها أو فُرضت عليه. لا قطيعة وعداء بينه والسعودية كسلفه، ويتواصل مع سفيرها في بيروت وليد البخاري، ما يعني أن لا موقف سلبياً ما يحيل هذا العامل شرطاً رئيسياً وحتمياً كي يطأ بأمان أولى خطواته. ذو مصالح متشعبة شرقاً وغرباً تتيح تمكنه من إزالة عراقيل راحت تتراكم على الحريري منذ كُلّف، أكثر من أي وقت مضى، وافتقدته صداقيته لدى المتبقي من الدول المعوّل عليها. بيد أن الرئيس المكلف المحتمل، يعرف أيضاً أن حزب الله - إذ أيد تكليفه ضمناً سواء سمّاه أو لم يفعل كما مع الحريري - لن يُرجّح كفته هو على رئيس الجمهورية. لن يقبل بأكثر مما قُبِل به عون للحريري.

ثالثها، رغم التقائهما على النطاق المسلّم به في الصلاحيات الدستورية لتأليف الحكومة، ثمة بون شاسع ما بين ميقاتي والحريري في المقاربات والخبرة والنضوج، أضف القدرات والثقافة السياسية وأدوات الظهور وطرائق التعبير والكتمان. لا يحرد ويزعل مثله، ولا ينفعل للفور و«يسنكف» حتى، ويقاطع المختلف معه. ليس شخصانياً ولا هاوياً في أدائه. على طرف نقيض منه، لا يقطع التواصل مع أحد، بما في ذلك أولئك الذين لا يؤيّدهم بسهولة أو يناوئهم. في وسع ميقاتي الذي تنطبق عليه صفة تاجر المدينة الناجح في إدارة مهنته، أن يبيع كمشة حبوب وأونصة الذهب في آن، ويقارب أهمية سعر تلك بهذه ويحرص عليهما معاً. في المقابل، فشل الحريري مرة تلو أخرى في اقتناص حظوظه عندما يبيع، أو عندما يشتري. بل أفضل ما امتهنه، أنه يعرف يخسر، متى وكيف. خلافاً لسلفه، لا يُجيّر نائب طرابلس سنّيته إلى أحد سواه، ويتمسّك بحجمها في المعادلة اللبنانية. يصعب استفزازه واستدراجه، وفي الوقت نفسه يتعذّر انتزاع ما لا يريد هو أن يقدمه لمحاوره. أمضى 139 يوماً في تأليف حكومة 2011، من غير أن يُخطر له الاعتذار، أو يشيعه، أو يهدّد به، كأنه يأتي كي يؤلف. ليس أدلّ على ذلك عندما رفض حينذاك طلب عون تعيين صهره قائد المغاوير العميد شامل روكز قائداً للجيش، فقابله عون ووزراؤه بالحؤول دون تجديد بقاء اللواء أشرف ريفي على رأس المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي.

لا مفرّ من القول إن ميقاتي متّعب لعون إذا تساكنا معاً. لكن المعلوم أيضاً أن الرئيس من طراز أولئك الذين يتغذّون بأمزجة «النقار» والصدام، ويسرّه اللعب مع معانديه المحترفين والمهرة، أكثر منهم الذين يشعرونه بأنهم يركبون أحصنة سواهم.

> لتسمية ميقاتي بُعداً محلي وإقليمي، هو المعتاد على التأليف لا الاعتذار

(مروان طحطح)

مقالة

الحريري والمسيحيون: خلاف الاعتذار والعريضة النيابية

هيام القصيفي

بين اعتذار الرئيس سعد الحريري والعريضة النيابية التي وقّع عليها رئيس تيار المستقبل وأكثرية كتلته النيابية، تحولت المشكلة التي كانت قائمة حول تكليفه وتعثر تأليف الحكومة الى مشكلة بينه وبين القوى المسيحية. فمن يتحمل المسؤولية عن التدهور في العلاقات بين الحريري وبينها، وكيف يمكن تصحيحها حتى لا يصبح «الانتقام» السياسي طائفياً؟

مع تكليف الحريري - بعد استقالة الرئيس حسان دياب - حَرَصَ وحزبُ الله على استبعاد اي توتر سنّي - شيعي من الشارع. وهو الأمر ذاته الذي كان في صلب الاتصالات التي جرت إبان انتفاضة 17 تشرين. نجح الطرفان في سحب أي توتر يمكن أن يخلق حساسيات على الأرض، حتى بعدما تفاقم الوضع ميدانياً من خلال قطع الطرق، ولا سيما طريق الجنوب. ورغم التكليف المنقوص، والتشكيل المتعذر، أبعد الطرفان، من خلال لقاءات مشتركة، الخلافات عن طريقهما. في لقاءات ثنائية واتصالات موسعة شملت الرئيس نبيه بري. لا يترك كلام الحريري الاخير حول حزب الله أثراً يذكر، لأن الجميع يعرف حدود الكلام والغاية السياسية والانتخابية منه.

لكن في لحظة مفصلية كاعتذار الحريري، تحوّلت المشكلة الى انفصام تام بين الحريري والقوى المسيحية، ولا سيما انها سبقت توقيع العريضة النيابية بشأن ملاحقة الوزراء المشتبه فيهم بانفجار المرفأ امام المجلس الاعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء. فالتوقيع عليها، بعدما وقف كل حلفائه السابقين معه يوم تشكيل المحكمة الدولية في اغتيال والده، يناقض مطالبته في المقابل بتحقيق دولي، لكنه كشف عن رد فعل «عصبي» بالمعنى الحقيقي. ففضلاً عن الخشية من أن يطاله الادعاء، بشخصه، في التحقيق بانفجار المرفأ، تصرف الحريري وكأنه لم يبتلع الهزيمة التي طالته امام العهد وباسيل، رغم كل الاحاطة الدولية به، المنقوصة سعودياً، فاستعاد علاقته مع الثنائي الشيعي انطلاقاً من العريضة، وبدا الحرص المتبادل بينه وبين بري مبرراً بعدم الخروج عن علاقتهما منذ 14 شباط 2005. الا انه بخطوته هذه أصاب علاقته بالقوى المسيحية إصابةً مباشرة، خصوصاً في ظل غليان مسيحي حيال عدم رفع الحصانات، وكرّس تحويل الخلاف «طائفياً» بتكتل سني وشيعي مدافع عن العريضة في وجه تكتل القوى المسيحية الرافضة للعريضة.

منذ التسوية الرئاسية، التي أسهم فيها نادر الحريري، أبعد الثنائي الحريري القوى المسيحية الحليفة لصالح التفاهم مع جبران باسيل. ألغى رئيس تيار المستقبل كل قوى 14 آذار من قاموسه، ولم يعد يستمع، حتى قبل التفاهم الباريسي، إلى نصائح أيّ منهم، لا إلى الشخصيات المستقلة التي كانت عماد قوى 14 آذار، كالنائبين السابقين فارس سعيد والراحل سمير فرنجية، ولا الى الاحزاب كالقوات اللبنانية والكتائب. أسهم بعض مستشاري الحريري وإعلامييه في تزكية هذا التوجه. رغم أن القاعدة المستقبلية لا تناصب هذه الأطراف العداء، بل العكس تماماً. صار كل من ينتقد الحريري خائناً، وكل من يتحدث عن باسيل وعون والتسوية على «اللائحة السوداء». ورغم أن الحريري كشخص يؤكد عارفوه أنه أبعد ما يكون عن النعرات الطائفية والمذهبية، إلا أن هناك في محيطه مَن كان يؤكد له دوماً ضرورة الابتعاد عن القوى المسيحية، لصالح التفاهم مع الثنائي الشيعي.

في المقلب الآخر، لم تلتقط القوى المسيحية الفرصة حين وقع الخلاف، من أجل تصحيح الوضع مع الحريري. فالتيار الوطني الحر الذي كانت تجمعه خصومة مطلقة مع آل الحريري وتيار المستقبل، استفاد من التسوية مع شريك سنّي لتعزيز أوراقه الداخلية والخارجية. فأرسى التسوية على قاعدة المصالح، خصوصاً تلك التي ربطت باسيل ونادر، واستبعدا معاً كل الآخرين، ولا سيما القوى المسيحية. وما ان تلاشت المصالح مع انهيار الوضع المالي والنقدي وفورة التظاهرات، حتى تخلى سعد الحريري وجبران باسيل أحدهما عن الآخر، وتحولت التسوية عبئاً على كليهما، وأنتجت مع استقالة الحريري ومن ثم تكليف حسان دياب واستقالته، ردود فعل متبادلة أرخت بثقلها على الوضع الداخلي برمته، لا عليهما فحسب، علماً بأن التيار لم يستطع أن يخرق القاعدة المستقبلية، ولم يقدر الحريري أن يُدخل التيار الى قاعدته. ما زاد من حدة الانعكاس السلبي هو أن التيار غامر كثيراً بالذهاب في الخلاف بعيداً، رغم ما كان يجمعه بالحريري. فالرهان على أن السعودية لا تريد الحريري، لا يعني في المقابل أن الأخير لم يدفع أثماناً باهظة نتيجة خياره في التسوية، أو أن باسيل قادر على الإتيان بزعامة سنية رديفة. وهذا جوهر الخطأ الحالي في مقاربة باسيل للجو السنّي، بعدما بالغ في استفزازه، والاستثمار في «فوزه» الأخير على الحريري.

القوات اللبنانية أخطأت كما الحريري، و«الرؤية الاستراتيجية» الموحدة بينهما لم تنعكس في الملفات الداخلية. كان الحريري يرى منذ لحظة الخلاف حول قانون اللقاء الارثوذكسي (للانتخابات النيابية) أن القوات تحاول اختيار القانون الذي يمكّنها من الفوز بحصة نيابية من دون التحالف مع المستقبل، وهو حين قرر تشكيل الحكومة ظهر كأنه يحاول المستحيل ليؤمن لها الحصص الأنسب والسيادية، لكن القوات رأت أنه لا يقوم إلا بما تقتضيه مصلحة باسيل. وهي أخطأت في «التقليل» من حجمها السياسي، فبدت متساهلة في القبول بدخول الحكومة الاولى للعهد بأي ثمن، فارتضت تباعاً بكل ما عرض عليها، ولو قلّ الحجم عمّا كانت تطمح اليه، ما جعلها عرضة أكثر للتصويب عليها من جانب فريق الحريري. والقوات تعتب على الحريري لتوجيه السهام مرة تلو مرة نحوها، خصوصاً في موضوع رئاسة الجمهورية والتسوية مع عون، وكان الحريري واضحاً في احتفال 14 شباط عام 2016 حين توجه لجمهع بالقول عن المصالحة بينه وبين الرئيس ميشال عون: «يا ليتها حصلت قبل زمن بعيد، كم كانت وفّرت على المسيحيين وعلى لبنان». في المقابل، لم تقم القوات بأي مبادرة فعلية لتخفيف الاحتقان، والتنازل فعلياً في الشهور الاخيرة لصالح إعادة العلاقة مع الحريري الى سابق عهدها، بما في ذلك قبولها المشاركة في الحكومة، ما كان سهّل ولادتها. هناك من يتذرع بموقف السعودية خلف القوات، لكن الامر يحمل مبالغة في اتجاهين: تبالغ القوات في مسايرة الرياض، ويبالغ الآخرون في اعتبار أخطائها منسوبة حصراً للسعودية، لأن القوات لها حساباتها الانتخابية، إذ تعتقد أن عدم مشاركتها في الحكومة ومواقفها الأخيرة يساعدان على زيادة حصصها في المقاعد النيابية في شكل لافت.

أما بكركي والحريري، فقصة مختلفة تماماً، والهجوم المتبادل، يعكس تغيراً جوهرياً؛ بكركي في عهد البطريرك الراحل مار نصر الله بطرس صفير، ورغم كل ملاحظاته على الرئيس الراحل رفيق الحريري وعلى المستقبل لاحقاً، حافظت على علاقة متوازنة بينهما، ولم يتخطّ «المستقبل» الحدود معها مطلقاً. أما مع البطريرك بشارة الراعي، فبكركي كانت عونية الهوى في بداية حبريته، لا بل ان معظم المقيمين فيها، ومعهم مطارنة بارزون فيها وفي العاصمة، أقرب ما يكونون الى خط 8 آذار بالمعنى الفعلي. كل ما حصل من تودّد بكركي الى الحريري في مرحلة من المراحل، يسقط بمجرد أن يزور الراعي بعبدا، ومشكلة المقرّبين من الحريري أنهم وقعوا في فخ بعض (ما يرونه) «استفاقات» الراعي النادرة التي اعتبروها تحوّلاً يبنى عليه. فما جرى من تودّد الى الرياض والتقرّب منها معروفة حدوده الذهبية الرنانة، ولا علاقة لها بالحريري لا من قريب أو بعيد، لا بل إن الراعي أبدى اقتناعه بأسباب استقالة رئيس التيار الأزرق من رئاسة الحكومة حين التقى به في الرياض عام 2017. أكثر من ذلك، فإن فقدان البوصلة في بكركي أسهم في زيادة الشحن السياسي غير المبرر على خلفية عملية تشكيل الحكومة. وكذلك فإن تحويل ذكرى انفجار المرفأ مناسبة «طائفية» وإقامة قداس احتفالي برعاية بكركي يضاهي في انعكاسه خطيئة أصحاب العريضة. فمضاعفة الاستثمار السياسي والطائفي في العريضة ومعها وضدها، جريمة توازي جريمة المرفأ.

> مضاعفة الاستثمار السياسي والطائفي في العريضة ومعها وضدها، جريمة توازي جريمة المرفأ

قضية

وصلت أزمة الدواء إلى حائط مسدود، ومعها أزمة المحروقات، في ظل انقسام السلطة بين مدافع عن حق المحتكرين بحرمان السكان من الدواء وتعريض المرضى لخطر الموت، وبين معلن العجز عن القيام بأي خطوة من شأنها وضع حد للأزمة، أو على الأقل التخفيف من آثارها. وسط ذلك، يلهو رياض سلامة بأرواح السكان، ويتحكّم بحياتهم وأمزجتهم، من دون أن يجد من يتصدى له. أما المحتكرون، فلا يتورعون عن إشهار وحشيتهم التي تتيح لهم قطع الدواء عن الناس، وهم واثقون من أن أحداً لن يردعهم. بل يجدون في السلطة وخارجها من يخوض معركتهم. أمام هذا الواقع، يتأكد مجدداً وجوب أن تلجأ الحكومة إلى إخراج الأدوية والمحروقات من «لعبة السوق»، واستيرادها مباشرة، وإيصالها إلى المرضى والزبائن بأقل كلفة ممكنة، أسوة بما جرى مع الفيول العراقي الذي يُوقَّع اتفاق استيراده اليوم، من دولة إلى دولة

أزمة الدواء تكبر: لا استيراد ولا توزيع ولا بَيع!

راجانا حمية

وصلت أزمة الدواء في البلاد إلى حدّ حرمان مرضى السرطان من علاجاتهم. فاليوم، ومع تمدّد الأزمة وتعنّت مصرف لبنان ومن خلفه المستوردون وأصحاب المستودعات، يواجه هؤلاء خطر العودة في علاجاتهم إلى النقطة الصفر... وبعضهم يواجه خطر الموت، وخصوصاً أن ما يقرب من 70% من أدوية الأمراض السرطانية والمستعصية باتت مفقودة من مستودعات وزارة الصحة العامة، في مركز الكرنتينا كما مراكز الأقضية. بالأرقام، قالها وزير الصحة العامة، حمد حسن، قبل أسبوع بأن هناك نحو 150 دواء لعلاج الأمراض

> **نحو 150 دواء من أدوية الأمراض السرطانية غير موجودة في مستودع الكرنتينا**

المستعصية غير موجودة اليوم في مستودع الكرنتينا.

منذ شهرين تقريباً، يعيش المستودع المركزي أسوأ فتراته، حيث بلغت «القطعة» ذروتها، وبحسب المصادر، فإن الجزء الأكبر المفقود هو من فئة العلاجات الجديدة، أي البروتوكولات الجديدة، فيما المتوفر «هو ما يأتي قليلة». وفق حسابات بسيطة، وعلى أساس ما يتسلم اليوم، لا تغطي الموجودات المرضى، يعني «عم يكون الواقع 100 مريض على 20 علبة دواء». قبل أن تكبر الأزمة، كان المركز يستقبل حوالى 600 إلى 700 مريض يومياً، فيما تستقبل مراكز الأقضية حوالى 250 مريضاً. أما اليوم، فقد انخفض العدد إلى النصف في كل المراكز («300 في المركز وحوالى 100 إلى 150 في المناطق»، فيما الأدوية التي يحصل عليها هؤلاء «ليست كاملة، أي بمعدل دواء أو دواءين من أصل 5». المخيف في هذا الانقطاع هو التأثيرات التي تطال مراحل العلاج، إذ إن «الخطر يكمن هنا في تدهور حال المريض من مرحلة إلى أخرى، وهذا ما يستوجب في بعض الأحيان تعديل العلاجات أو الحاجة إلى علاجات متطورة»... وما يمكن أن يحمله ذلك من عودة إلى النقطة الصفر. مع ذلك، تبقى حال تلك العلاجات أفضل من حال العلاجات المناعية، فإن كان الفقدان لا يطال كل أنواع أدوية السرطان، إلا أنه بات شاملاً اليوم في الشق المتعلق بالعلاجات المناعية التي فقدت كلياً.

يحدث كل ذلك فيما حاكم المصرف المركزي رياض سلامة يقف متفرجاً على الموت الآتي، فإلى الآن وبرغم إرسال وزارة الصحة العامة لائحة الأولويات، بناء على طلبه، إلا أن بنود الاتفاق لم تنفذ، إذ إنه لم يجدول مستحقات المستوردين السابقة ولم يصرف تالياً المبلغ المتفق عليه، وجلّ ما صرفه إلى الآن ثلاثون مليون دولار أميركي من أصل خمسين مليوناً، ولم ترفق تالياً بلوائح الأدوية ولا الشركات التي شملها المبلغ، ما يصعّب على الوزارة مهمة المتابعة. وتضاف هذه الأزمة إلى أزمة سابقة تترجم بامتناع المصرف المركزي عن تسليم الوزارة أيضاً لوائح وفواتير الأدوية المدعومة السابقة، وهو ما يجعل الوزارة عاجزة عن تتبع الأدوية في المستودعات لمعرفة الكميات المخزّنة. وإذ تضع مصادر وزير الصحة هذا الأمر في خانة «الثقة المفقودة بين الطرفين»، ترفض مصادر أخرى هذا التوصيف، وخصوصاً أن «هذه الكلمة مؤدبة بعض الشيء، فيما الأساس هو أن الحاكم ليس معنياً بما قد يحدث للناس، ولو كان الموت». ويدلّل هؤلاء على ذلك بالجمود المستمر منذ السابع من أيار، حيث تقف معاملات الأدوية بلا حل.

يتحمل مصرف لبنان الجزء الأيسر من تداعيات الأزمة، فيما يتوزع الجزء الآخر من المسؤولية ما بين السلطة السياسية من جهة ومستوردي الأدوية وأصحاب المستودعات من جهة أخرى. في الجزء الأول، وفي اجتماع بعبدا الأخير، انشغل رئيسا الجمهورية والحكومة في كيفية تأمين الغطاء لأصحاب الاحتكارات من خلال العمل على إقفال الباب على قرار وزارة الصحة القاضي بالسماح بالاستيراد الطارئ للأدوية. ويشبّه البعض ما جرى في القصر أخيراً بـ«النقاش في جنس الملائكة، فيما المشكل يكمن في مكانٍ آخر». أما الأزمة الأخرى، فهي في سلطة المحتكرين والمستوردين وأصحاب المستودعات الذين يمتنعون عن الاستيراد والتسليم. وفي هذا السياق، يشير رئيس لجنة الصحة النيابية، عاصم عراجي، إلى أن المشكلة اليوم تنقسم إلى جزءين: في الجزء الأول، يمتنع المستوردون عن استيراد الأدوية المدعومة، ومنها أدوية الأمراض المزمنة والمستعصية قبل إفراج مصرف لبنان عن المستحقات السابقة لهم، والتي تقارب الـ 600 مليون دولار. أما في الجزء الآخر، فهو امتناعهم أيضاً عن تسليم الأدوية التي رفع عنها الدعم على أساس السعر الذي حددته الوزارة باثني عشر ألف ليرة للدولار، والاستيراد تالياً... اللهم إلا على سعر صرف السوق. وخلال اليومين الأخيرين، حاولت الوزارة إقناع المستوردين وأصحاب المستودعات بالتسليم والبيع على أساس سعر 12 ألفاً، إلا «أنهم امتنعوا لأنهم إنْ باعوا على أساس هذا السعر فسوف يخسرون ما نسبته 50% في حال الاستيراد على أساس سعر صرف السوق». أما النتيجة؟ فهي «الشح في الأدوية المدعومة بنسبة 70%، وتوقّف التسليم للأدوية التي رفع عنها الدعم، بنسبة 99%»، على ما تشير مصادر الوزارة.

وقد تخلل أمس وأول من أمس اجتماعات مع المعنيين في ملف الدواء بمن فيهم المستوردون ونقابة الصيادلة. وكان العنوان الأساس رسم خريطة طريق للوصول إلى حل أزمة الدواء، إضافة إلى النقاش حول جعالة الصيادلة والمستوردين. ولم تتوصل الوزارة إلى الآن إلى حل في ما يخص الحد من أزمة الدواء، وقد طرحت عدة سيناريوات، منها سيناريو تأمين الدعم لهم على أساس 12 ألف ليرة للدولار، إلا أنه لا اتفاق بانتظار استكمال النقاشات الثلاثاء المقبل. أما بالنسبة إلى الجعالة، فمن «المتوقع أن يتبلور الاتفاق الثلاثاء المقبل، حيث تتجه الأمور نحو الحلحلة»، على ما يقول نقيب الصيادلة غسان الأمين. من هنا، تسلك وزارة الصحة العامة طرق الحلول الظرفية، حيث أعلن وزير الصحة العامة، حمد حسن، عن السير بقرار فتح باب الاستيراد الطارئ، مطمئناً إلى أن ملفات الاستيراد التي قدمت تخضع لدراسة لجنة أكاديمية متخصصة لضمان الجودة والفعالية. وفي انتظار ما ستؤول إليه الأمور، دعا من الجهة الأخرى المواطنين إلى التوجه نحو مراكز الرعاية الصحية الأولية للحصول على أدوية الأمراض المزمنة، والتي تقدر في المراكز بـ 84 دواء، مؤكداً أنه يمكن لهذه المراكز استيعاب 500 ألف مريض حتى آذار من العام المقبل.

إلى ذلك، أقفل معظم الصيادلة أمس أبواب صيدلياتهم، اعتراضاً على ما آلت إليه الأمور. ولئن كانت نقابة الصيادلة قد لفتت إلى أنها «لم تدعُ إلى أي إضراب»، إلا أنها تتخوف من الظاهرة التي بدأت تتطور، حيث بلغت نسبة الإقفال في الآونة الأخيرة 60%، بحسب الأمين. خطورة هذه الظاهرة أنها «أوضح صورة عما آلت إليه الأزمة».

في ظل انشغال السلطة السياسية عن ملف الدواء، وعما يقوم به حاكم مصرف لبنان، بات أمر الدواء اليوم «متروكاً للسماء»، وخصوصاً أن معظم الأدوية بات خارج التداول، وما بقي منها لا يفي بالغرض. فهل تنتظر السلطة عدّاد الموت كي تبدأ بالتفتيش عن حلول؟

(هيثم الموسوي)

(هيثم الموسوي)

تقرير

موظّفو «كاريتاس» يشكون التمييز: «الفريش دولار» للمحظيّين فقط!

هديل فرفور

بعد تأخير دام نحو عشرين يوماً، تقاضى أخيراً نحو مئتي موظف يعملون في بعض الأقسام التابعة لـ«كاريتاس» رواتبهم المحدّدة بالليرة اللبنانية. يؤكّد هؤلاء، كما الإدارة، عدم وجود مشاكل مالية تُبرّر التأخير «المُستجدّ» في دفع المُستحقات الذي ظهر في «عهد» رئيس الرابطة الأب ميشال عبود. وفيما يعزو الأخير السبب إلى «المصارف» التي تتأخر في صرف الأموال للموظفين، تقول مصادر إدارية في الرابطة إن السبب ليس إلّا استخفافاً بعشرات الموظفين الذين لا يحظون بدعم من الرئيس «وإلا لما كان الموظفون المُقرّبون منه من إداريين ورؤساء أقسام يقبضون رواتبهم على الوقت».

هذا الكلام يتقاطع وما تقوله شهادات عشرات الموظفين ممن شكوا «الإستنسابية» في صرف الرواتب متّهمين الرئيس «الذي جلب طاقمه معه» بالتمييز، «إذ حدّد رواتب المحظيين لديه من مدراء وموظفين يعزّون عليه بالفريش دولار التي قد يصل بعضها إلى ثلاثة آلاف دولار فيما يتقاضى الآخرون رواتبهم التي لا يتجاوز بعضها المليوني ليرة لبنانية بالتنقيط».

اللافت أن الفارق في الرواتب لا يخضع لمعايير واضحة تتناسب وحجم الأعمال، وبالتالي «التفريق» الحاصل بين الموظفين، على حدّ تعبير الموظفين المتضرّرين، سببه «أهواء» الأب عبود فقط، «وإلا كيف للعاملة المنزلية الموظفة في كاريتاس التي يستعين بها للقيام بأعمال التنظيف الخاصة بمنزله أن تتقاضى 800 دولار فيما لا تتعدّى رواتب غالبية الموظفين في الأقسام الصحّية، التي تُعد عصب الرابطة وواجهتها المليوني ليرة لبنانية؟».

تقول رواية المتضررين إن الرئيس أقدم تدريجياً منذ توليه رئاسة الرابطة على توظيف عشرات الموظفين المقرّبين منه مُشدّداً ما يُشبه «إمبراطورية» تابعة له، بدءاً من موظفي الأمن وصولاً إلى المدراء الذين يعملون في مبنى الإدارة في سنّ الفيل، مُشيرةً إلى أن البعض تلقّى زيادة في الراتب على أساس الدولار «فيما تلقّى عشرات الموظفين الغاضبين من التأخير في الرواتب والمطالبين بتصحيح الواقع تهديدات بالاستقالة والإجبار على إمضاء إنذارات».

في اتصال مع «الأخبار»، يقول الأب عبود إن الاختلاف في صرف الرواتب يعود إلى اختلاف الجهات المموّلة للمشاريع التي تتولاها «كاريتاس»، «فإذا كانت الجهة المموّلة تخصص أموالها بالدولار نقوم بصرف رواتب الموظفين في المشروع بالدولار، أما إذا كانت بالليرة اللبنانية فليس لدينا خيار إلا بدفع الرواتب بالليرة اللبنانية». وإذ يُشير عبود إلى أن الوضع المالي في «كاريتاس» أفضل من أي قطاع في لبنان، يعزو الحديث عن الفوارق والتمييز بين الموظفين إلى «الغيرة» و«الحسد»، معتبراً أن معظم الموظفين في مختلف الأقسام «يتقاضون رواتبهم أفضل من أيّ قطاع في لبنان في ظل الوضع الراهن».

> **عزا رئيس الرابطة الفوارق في رواتب الموظفين إلى «الغيرة» و«الحسد»!**

إلّا أن كلام الأب عبود يتناقض والمعطيات التي تُفيد مثلاً بأن العاملين في المستوصفات التي تحظى بتمويل أجنبي بالدولار، يتقاضون رواتبهم بالليرة اللبنانية فيما يتقاضى بعض الإداريين «ممن يتولون مهامّ إدارية شكلية وتم توظيفهم نتيجة محسوبيات» بالدولار الفريش. ووفق المصادر الإدارية نفسها، فإنّ نحو مئتي موظّف مُقرّب من الأب تمّ توظيفهم بهذا الشكل، فيما يقول أحد الموظفين المتضررين إن المطلوب هو إرساء معايير عادلة في أقسام الرابطة بهدف المزيد من الشفافية وتحقيق العدالة بين الموظفين، لافتاً إلى أن جزءاً كبيراً من الموظفين «المغبونين» شكوا إلى عدد مختلف من المطارنة والمعنيين «إلا أن شكاوانا لم تلقَ آذاناً صاغية».

فجر يوقع الاتفاقية مع العراق اليوم... وتسليم الفيول في غضون أسبوع

شحّ المازوت: لبنان ينطفئ

لم يسبق في عزّ الحرب الأهلية أن كان الوضع الاجتماعي والمعيشي بهذا السوء. لا أفق أمام الناس سوى الجوع والمرض. لا أساسيات الغذاء ولا أساسيات الطبابة متاحة، وإن توافرت، فبأسعار هائلة، تتغير على مدار الساعة. حتى البنزين والمازوت، اللذين ارتفع سعرهما بشكل قياسي، ليسا متوافرين. وهذا بدأ ينعكس على المولدات الخاصة، التي توقف بعضها عن العمل، بسبب عدم توافر المازوت، بعدما سبقتها كهرباء لبنان أمام المحطات. هذا لم يدم أكثر من أسبوع. خلال أيام العيد وبعده، عادت المحطات لتشهد اصطفاف عشرات السيارات. السبب مجدداً هو تأخر مصرف لبنان في فتح الاعتمادات. وهذا أمر سيتكرر مراراً طالما أن الفارق لا يزال كبيراً بين السعر المدعوم للدولار وسعر السوق. وعليه، فإن النتيجة اليوم أن مخزون المحروقات، بنزين ومازوت، حتى مع إضافة الشحنتين اللتين تنتظران في مرفأ بيروت فتح الاعتمادات لتفريغهما، بالكاد يكفي حتى نهاية الشهر، إذا لم تُفتح اعتمادات جديدة. لكن الأخطر أن المازوت شبه مفقود من السوق، حتى منشآت النفط خزاناتها فارغة، ولن تصلها أي شحنة قبل عشرة أيام. شحنتها الأخيرة (24 مليون ليتر)، أفرغتها قبل العيد. ولأن حصتها السوقية تصل إلى 30 في المئة، فإن شحّ المازوت لديها يعني تلقائياً شحّ المادة في السوق. فالكمية المتبقّية حالياً هي تلك التي تملكها بعض شركات النفط، والتي بالكاد تكفي لأيام. لكن، بحسب المعلومات، فإن بعضها لديه شحنات فُتحت اعتماداتها أمس، بما يمكن أن يسمح بتوافر المادة أكثر. ذلك قد يُقلل من منسوب الكارثة، لكنها باقية، وبدأت تأثيراتها تطاول كل القطاعات من دون استثناء. إطفاء بعض المولّدات الخاصة هو أهون التداعيات. أصحاب المستشفيات رفعوا الصوت، محذرين من كارثة استشفائية حقيقية إن لم يؤمن المازوت للمستشفيات. القطاع السياحي، الذي يُعوّل عليه ليكون في فترة الصيف رافعة الاقتصاد، بدأ يتسلل الشلل إليه. فنادق بدأت تقفل أبوابها، بسبب عدم قدرتها على تأمين الطاقة الكهربائية.

أما الصناعيين، فبعدما أعلن وزير الصناعة عماد حب الله أنه «تقرر السماح للمصانع بالاستيراد المباشر لمادة المازوت وغيرها من المشتقات النفطية من دون إجازة مسبقة»، تعتبر مصادر عاملة في القطاع أن هذا الحل لا يمكن تطبيقه عملياً. إذ إن المصانع ليست مستعدة لاستيراد المازوت على سعر السوق، أولاً لأن كلفة الإنتاج سترتفع بشكل هائل، وثانياً لأنها لا تملك قدرات تخزينية كافية، وثالثاً لأن المشكلة الأساس هي في شح الدولارات، فمن أين ستأتي بالدولارات لتأمين حاجاتها من المحروقات؟

وفي السياق نفسه، كان وزير السياحة رمزي مشرفية يزور رئيس الجمهورية ميشال عون أمس، محذراً من أن شحّ المازوت والفيول يؤثّر في القطاع السياحي بأسره، إضافة إلى تأثيره في القطاع الصحي والاستشفائي، وقطاع المواد الغذائية.

لكن مع ذلك، فقد سمع مشرفية، الذي افترض أن أزمة الكهرباء مستجدة، من عون أن الإجراءات لحل هذه الأزمة ستكون قيد التنفيذ في غضون يومين. وهذا الإعلان مرتبط عملياً بحسم مسألة الاتفاق مع العراق، الذي سيوقّع اليوم من قبل وزير الطاقة ريمون غجر عن الجانب اللبناني، علماً أن غجر كان انتقل إلى بغداد أمس، برفقة المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم، الذي أعلن، أنه بعد توقيع الاتفاق، ستحتاج إجراءات استقدام الفيول إلى ما بين أسبوع وعشرة أيام. أما الخطوة الأولى، فكانت أمس تثبيت زيادة الكمية، مع شركة تسويق نفط العراق («سومو») من 500 ألف طن إلى مليون طن من الفيول الأسود، الذي سيُصار إلى استبداله بفيول يُناسب الحاجات اللبنانية، من خلال مناقصات «سبوت كارغو» تجريها وزارة الطاقة.

(الأخبار)

الكرة المعولمة

الدرجة الثانية الألمانية... تنافسية تضاهي دوريات النخبة

انطلق موسم 2021-2022 في دوري الدرجة الثانية الالماني أمس الجمعة حيث استضاف نادي شالكه نظيره هامبورغ. اسمان كبيران في دوري علي، «بالعمالقة» الذين هبطوا من الدرجة الاولى. يعكسان مدى ندية وتنافسية الـ«2 Bundesliga». حيث شكّل هذا الاخير في السنوات الماضية مادة جذّابة لجماهير كرة القدم حول العالم

يلعب شالكه هذا الموسم في الدرجة الثانية (أ ف ب)

حسين فحص

رغم خطف «البوندسليغا» الأضواء، يبقى دوري الدرجة الثانية الألماني تنافسياً وممتعاً. في المانيا، لا يتمّ قياس حجم نادي ما عبر نجاحه في عالم كرة القدم، ولكن من خلال عدد أعضائه حيث تضمن قاعدة (50 + 1) أن يكون للأعضاء رأي في إدارة أنديتهم. ظهر ذلك جلياً من خلال المواكبة الإعلامية والجماهيرية الكبيرة لمباراة الأمس التي جمعت اثنين من أكبر الأندية الرياضية في ألمانيا: شالكه (158000 عضو) مع هامبورغ (85360 عضواً) في المباراة الافتتاحية للموسم. مع وجود فيردر بريمن، وهانوفر 96، وفورتونا دوسلدورف، ونورمبرغ، وهانزا روستوك، وديناموبريسدن، وسانت باولي أيضاً، أصبح الدوري الألماني للدرجة الثانية يضم تسعة من أكبر 25 نادي كرة قدم في المانيا من حيث العضوية.

على صعيد النجاحات، تمتلك أندية البوندسليغا 2 هذا الموسم إجمالي 43 لقباً في ما بينها، سواء في الدوري الألماني أو بطولة المانيا الشرقية السابقة. تتباهى هذه الأندية أيضاً بـ 26 كأساً محلياً، من دون إغفال ضم هذه الدرجة على أبطال أوروبا سابقين وهم شالكه (كأس الاتحاد الأوروبي عام 1997)، هامبورغ (كأس أوروبا عام 1983 وكأس الكؤوس الأوروبية عام 1977) وفيردر بريمن (كأس الكؤوس عام 1992). تجدر الإشارة إلى وجود فرق شارفت في ما مضى على اعتلاء المنصات الأوروبية أيضاً، مثل فورتونا دوسلدورف وصيف نهائي كأس الكؤوس الأوروبية عام 1979، إضافة إلى ديناموبريسدن الذي وصل إلى نصف نهائي كأس الاتحاد الأوروبي عام 1989.

التراس مميز وديربيات منتظرة

تشتهر الفرق الألمانية في الدرجة الثانية بجماهيرها المتعصبة، ويفتخر ناديان من عمالقة المانيا الشرقية على وجه الخصوص، دينامو دريسدن وهانزا روستوك، بدعم جمهورهما المتعصب. في أكتوبر/تشرين الأول 2019، تابع أكثر من 30 ألفاً من مشجعي دينامو فريقهم خارج الديار، حيث توجهوا إلى ملعب هيرتا برلين في الكاس، كما تصدّرت جماهير دينامو عناوين الصحف عندما استحوذت على أكثر من 20 ألف مقعد لمواجهة ميونيخ 1860 عام 2005 و 2011 و 2016.

بالنسبة إلى فريق هانزا روستوك، يتطلع مشجعوه إلى العودة للدرجة الثانية وذلك للمرة الأولى منذ عشرة أعوام. سجّلت جماهير الفريق أرقاماً قياسيةً في ما مضى، يبرز منها الحضور خارج الديار في دوري الدرجة الثالثة عندما رافق 4400 مشجع الفريق إلى بريمن للعب ضد احتياطي الفريق في مارس/آذار 2018.

> تمتلك أندية الدرجة الثانية الألمانية هذا الموسم إجمالي 43 لقباً في ما بينها

تكثر «الديربيات» في الدوري الألماني للدرجة الثانية، وستكون اللقاءات التي تجمع بين هانزا وديناموبريسدن من أكثر المباريات المنتظرة، بخاصة إذا سمح للجماهير بالحضور. وسيشهد الموسم عدة اشتباكات شمالية متفاوتة المستوى، يبرز منها ديربي هامبورغ بين «HSV» وسانت باولي، إضافة إلى الديربي الذي يجمع هامبورغ وفيردر بريمن، بعد أن هبط الأخير.

قاعدة (50 + 1) الذهبية

على خلاف الأندية «الكبيرة» التي هبطت بسبب سوء الإدارة، تعد الدرجة الثانية بمثابة المكافأة للإدارة الرشيدة والتنمية المستدامة، مما يسمح باستمرار الأندية «المتوسطة» ذات الإدارات الكفوءة. من الأمثلة اللافتة على الأساليب المتبعة للانتشار والنجاح، ما فعله فريق سانت باولي عندما صاغ هوية كاملة حول ممارسة كرة القدم بشكل مختلف، وذلك من خلال موقف النادي الصريح المناهض للعنصرية، إضافة إلى حملاته المنتظمة ضد التمييز والدفاع عن قاعدة (50 + 1) وهو ما جذب المعجبين من جميع أنحاء العالم.

مواقف عدة ظهرت في ما يتعلق بأهمية عضوية النادي، بيّنت أنّ قاعدة (50 + 1) لكرة القدم الألمانية ترتكز بشكل أكبر على الدوري الألماني 2 مقارنةً بالدوري الممتاز. من بين الأندية الثمانية عشر، فقط فريق إنغولشتات اعترض من مناصري قاعدة (50 + 1) نظراً لارتباط النادي بمصنع السيارات «أودي»، حيث يشكّل عضوان سابقان في مجلس إدارة أودي وموظف حالي ومتحدث باسم مجلس إدارة شركة فولكس فاغن الغالبية في مجلس إدارة النادي. من جهته، كان فريق هانوفر في قلب الجدل حول (50 + 1) لسنوات. بعد رئيس النادي السابق مارتن كايند من المعارضين الصريحين للقاعدة، لكن تم إحباط محاولته للحصول على إعفاء والسيطرة على الغالبية في عام 2018. وعندما تم تقسيم كرة القدم للمحترفين في هامبورغ إلى شركة خاصة عام 2014، انفصل بعض المشجعين احتجاجاً وشكلوا ناديهم الخاص، HFC Falke. النجاحات الموعودة نتيجة الانفصال لم تتحقق منذ ذلك الحين ولا يزال HSV يعتمد على المساهم الرئيسي كلاوس مايكل كون. في هذا الصدد، يُعتقد أن نادي شالكه الذي هبط من الدوري الألماني في الموسم الماضي بدين قدره 217 مليون يورو قد يسعى إلى خيارات مماثلة، لكنه لا يزال مملوكاً للأعضاء بنسبة 100 في المئة.

الألعاب الأولمبيّة

طوكيو تطلق المنافسات رغم الجائحة... وآمال لبنان كبيرة

افتُتحت عصر أمس الجمعة النسخة الـ32 من الألعاب الأولمبية في العاصمة اليابانية طوكيو، رغم المخاوف من تفشي فيروس كورونا. المسابقة المؤجّلة من العام الماضي بسبب الفيروس، ستقام على مدى حوالى شهر خلف أبواب مغلقة، وإجراءات استثنائية تمّ اتخاذها داخل القرية الأولمبية للحدّ من انتشار الفيروس، والعمل على نجاح الفعاليات في أكبر

> يبدأ لبنان مشاركته في الأولمبياد الإثنين المقبل عبر السبّاحة غابرييلا دويهي

تجمّع رياضي عالمي. 11 ألف رياضي سيتنافسون في مختلف الرياضات، وهم يتبعون لـ205 اتحادات أولمبية حول العالم.

افتتحت اليابان المنافسات يوم أمس رغم التظاهرات المنددة بالدورة الأولمبية الحالية، والمُطالبة بإلغائها للحد من انتشار الفيروس، إلا أن طوكيو واللجنة الأولمبية الدولية رفضتا تأجيل الألعاب أو إلغاءها، على اعتبار أنها تشكل الأمل للعالم في ظل هذه الأوقات الصعبة. وأظهرت الأرقام الرسمية أن تكلفة الألعاب حوالى 14,8 مليار دولار أميركي، بما فيها 2,6 مليار دولار بسبب تأجيل عام كامل.

ويشارك لبنان في هذه النسخة من الألعاب الأولمبية بـ5 رياضيين، في 5 رياضات مختلفة. والرياضيون اللبنانيون هم الرامية راي باسيل (32 عاماً ومصنّفة 33 عالمياً)، ناصيف الياس (32 عاماً - الجودو فئة 81 كلغ)، الرباعة محاسن فتوح (32 عاماً - رفع الأثقال وزن 76 كلغ)، العدّاء نور الدين حديد (28 عاماً - ألعاب القوى)، والسبّاحان منذر كبارة (21 سنة - سباق 200 متر متنوّع) وغابرييلا الدويهي (22 سنة - سباق 200 متر حرّة). ويبدأ لبنان مشاركته في الأولمبياد يوم الإثنين المقبل الموافق 26 تموز الجاري، عبر مشاركة السبّاحة غابرييلا دويهي في سباق 200 متر حرة الساعة الواحدة بعد منتصف الليل والثالثة فجراً. أما يوم الثلاثاء في السابع والعشرين من الجاري، فيلعب ناصيف الياس أولى مبارياته في الجودو (وزن 81 كلغ) بين الساعة الخامسة والساعة 7,30 صباحاً.

أما الرامية راي باسيل فتشقّ شريط مشاركتها في منافسات الحفرة الأولمبية (تراب) يوم الأربعاء في الثامن والعشرين من الجاري الساعة 3:00 فجراً إلى الساعة 10 صباحاً. وعند الساعة الواحدة من فجر اليوم ذاته يشارك منذر كبارة في سباق 200 متر متنوّع للسباحة، وتستمر المنافسة حتى الثالثة والنصف فجراً. وتُستكمل منافسات الرياضيين اللبنانيين يوم الأحد في الأول من آب المقبل عبر محاسن فتوح في رفع الأثقال (76 كلغ) الساعة 7,50 دقيقة صباحاً ولغاية العاشرة قبل الظهر. أما الثلاثاء في 3 آب فيشارك العدّاء نور الدين حديد في سباق 200 متر فردي متنوّع الساعة الثالثة فجراً وحتى الساعة 6,35 صباحاً.

(الأخبار)

البعثة اللبنانية في الافتتاح أمس (أ ف ب)

حول العالم

اندريه ايو في السد القطري

أعلن السد بطل الدوري القطري في كرة القدم انضمام لاعب الوسط الغاني أندريه أيو إلى صفوفه بموجب صفقة لمدة عامين، مع خيار التمديد لعام إضافي. وكتب السد في صفحته على تويتر في وقت متأخر من ليل الخميس. الجمعة «رسمياً: أندريه آيو سداوي لموسمين قادمين مع سنة ثالثة اختيارية». ووصل اللاعب إلى الدوحة الخميس صباحاً من أجل إتمام الإجراءات الروتينية قبل التوقيع على العقد والإعلان الرسمي. وأظهرت الصور التي نشرها النادي القطري في صفحته الرسمية لقطات من حفل التوقيع.

ودافع الغاني منذ كانون الثاني/يناير 2018 عن ألوان فريقه السابق سوانسي سيتي الويلزي الذي كان يلعب في الدوري الإنكليزي الممتاز، لكنه لم يتمكن من تجنيبه، في نهاية ذلك الموسم، الهبوط الى الدرجة الأولى الإنكليزية (الثانية فعلياً).

وأدى هبوط الويلزي الى رحيل الغاني لفنربغشه التركي في صيف 2018 على سبيل الإعارة وبقي معه حتى نهاية الموسم قبل العودة مجدداً الى سوانسي.

وسجل أيو اللاعب السابق لمارسيليا الفرنسي ووست هام الانكليزي 17 هدفاً في 46 مباراة خاضها في الدرجة الأولى الإنكليزية الموسم الماضي، وساهم في احتلال سوانسي المركز الرابع الذي خوله خوض الملحق التأهيلي، من دون أن ينجح في الصعود إلى الدوري الممتاز بعد خسارته أمام برنتفورد.

اصابة نجم الريال بكورونا

أعلن ريال مدريد الإسباني إصابة مهاجمه الفرنسي كريم بنزيمة بفيروس كورونا. واكتفى النادي الملكي ببيان قال فيه: «يعلن نادي ريال مدريد إصابة لاعبنا كريم بنزيمة بفيروس كوفيد-19». وأمام الفرنسي المتسع من الوقت للتعافي والعودة الى الفريق الملكي الذي يبدأ رحلته مع مدربه الجديد القديم الإيطالي كارلو أنشيلوتي في الدوري الإسباني اعتباراً من 14 آب/أغسطس في ملعب ديبورتيفو الافيس.

وسبق لريال أن عانى الموسم الماضي من إصابات عديدة في صفوفه بفيروس كورونا، أبرزها لقائده المنتقل الى باريس سان جيرمان الفرنسي سيرخيو راموس، ومواطن بنزيمة المدافع رافايل فاران المرشح أيضاً رحيله هذا الصيف عن عملاق مدريد بحسب التقارير، ناتشو، البلجيكي إدين هازار ودني كارفاخال. كما أصيب بـ«كوفيد-19» الموسم الماضي المدرب الفرنسي زين الدين زيدان الذي رحل بدوره عن النادي ليحلّ بدلاً منه المدرب القديم الجديد الإيطالي كارلو أنشيلوتي، والرئيس فلورنتينو بيريس. ويأتي الإعلان عن إصابة بنزيمة في وقت ارتفعت فيه أعداد الإصابات مجدداً في دول كثيرة، بينها إسبانيا وفرنسا، بسبب ظهور متحور دلتا.

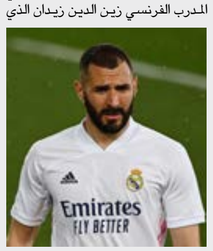

سون باقٍ في لندن

مدّد النجم الكوري الجنوبي سون هيونغ-مين عقده مع توتنهام الإنكليزي لأربعة أعوام إضافية، بعد التوصل الى اتفاق يقضي برفع راتبه. وقال سون في بيان: «انه أصلاً لشرف كبير لي أن ألعب هنا لمدة ستة أعوام. لقد أظهر النادي احتراماً هائلاً تجاهي، ومن الواضح أنني سعيد بوجودي هنا». واعتبر الكوري الجنوبي الذي سجّل 22 هدفاً في 51 مباراة خاضها الموسم الماضي في جميع المسابقات، توتنهام «بمثابة منزلي، ولا سيما في ما يتعلق بالمشجعين، اللاعبين والطاقم. لم يكن من الصعب اتخاذ القرار، كان الأمر سهلاً. أنا سعيد بوجودي هنا وسأكون مسروراً برؤية المشجّعين مجدداً».

وفرض سون نفسه من ركائز الفريق اللندني منذ وصوله قادماً من باير ليفركوزن في عام 2015، مسجلاً 107 أهداف في 280 مباراة خاضها بقميصه في شراكة هجومية ضاربة مع هاري كاين الذي لم يحسم مستقبله مع النادي حتى الآن في ظل رغبته في الانتقال إلى منافس قادر على إحراز الألقاب. ووجّه المدرب البرتغالي نونو إشبيريتو سانتو الذي خلف مواطنه جوزيه مورينيو في تدريب توتنهام، تحذيراً الأسبوع الماضي إلى الطامعين بخدمات هدّاف كاين بالتأكيد أنه «لاعبنا، نقطة على السطر». ورغم جهود كاين التي قادته إلى أن يكون هدّاف الدوري الإنكليزي الممتاز الموسم المنصرم، عجز توتنهام عن حجز مكانه بين الأربعة الأوائل وسيغيب بالتالي عن دوري أبطال أوروبا للموسم الثاني تواليا.

استراحة

كلمات متقاطعة 3793

أفقيا

1- سهل لبناني – 2- نعم بالأجنبية – زار الأماكن المقدسة – خصومة ونزاع – 3- من الأوزان – فولاذ – سئم وضجر – 4- حبّ الرمان – 5- بحر – الإنسان – 6- جرائد – من انواع الطيور – 7- عملة آسيوية – كرع الماء بلا تنفّس – خلو من العيب – 8- نواجههم – مناص – 9- اغنية لوديع الصافي – من الطيور – 10- من شهداء الوطن الذين اعدمهم جمال باشا السفّاح مطلع القرن الماضي

عمودياً

1- من آثار الصين – 2- من أسماء الثعلب – إناء صغير من زجاج – 3- جمع عظيم – أوتوماتيكي – 4- سعل – ثرى – عائلة اديب وناقد لبناني راحل – 5- من أسماء الفضة – مثل أخيه بالهيئة والمنظر – 6- مهنة من يرقع الثياب – من الحبوب – 7- نبات مائي ينتشر على ضفاف المستنقعات – مارس الملاكمة – 8- مقياس مساحة – من الحبوب – نوتة موسيقية – 9- سنة –أخرج الى العلن – 10- من أبطال حكايات الف ليلة وليلة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- طريف – صوفيا – 2- اي – آت – ريال – 3- رغم – أسيا – 4- قاسيون – تحلّ – 5- هوندا – في – 6- نا – يسر – 7- زهد – ما – وفا – 8- التنين – 9- أزمور – أزلي – 10- دراز – سلامة

عمودياً

1- طارق بن زياد – 2- ريفا – آه – زر – 3- مسبه – داما – 4- فا – يوح – لوز – 5- تاون – متر – 6- سنديان – 7- وُري – اس – يال – 8- فيات – رونزا – 9- يا – حفّ – لم – 10- السليمانية

sudoku 3793

5		6			8			9
7	8	4			2	1		
	9				3			
3				5				2
1		2		8		5		4
9				6				7
			7				5	
		9	8			4	7	3
4			9			2		6

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3792

5	3	7	8	1	2	6	9	4
6	4	8	9	7	3	2	5	1
2	1	9	6	4	5	3	7	8
3	8	2	1	6	9	7	4	5
7	6	5	2	8	4	1	3	9
4	9	1	5	3	7	8	2	6
1	2	3	4	9	8	5	6	7
9	5	6	7	2	1	4	8	3
8	7	4	3	5	6	9	1	2

مشاهير 3793

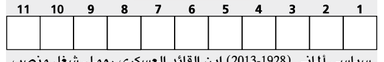

سياسي ألماني (1928-2013) إبن القائد العسكري رومل. شغل منصب عمدة شتوتغارت. كان من أبرز السياسيين في حزب الإتحاد الديموقراطي المسيحي

7+6+3+2+5 = عملة عربية ■ 8+4+1 = مهرب ■ 11+9+10 = عتاب

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: وردة البازجي

الكرة الثانية

نصف نهائي النخبة والتحدي

تقام اليوم وغداً مباريات الدور نصف النهائي من مسابقتي النخبة والتحدي التنشيطيتين في كرة القدم، فيلعب اليوم في نصف نهائي النخبة النجمة مع الأنصار على ملعب جوتية عند الساعة 17,00، والعهد مع شباب الساحل في التوقيت عينه على ملعب بحمدون.

ويلعب غداً الأحد في نصف النهائي التحدي طرابلس مع الحكمة على ملعب جوتية عند الساعة 17,00 وسبورتينغ مع البرج في التوقيت عينه على ملعب بحمدون.

ويتضمن نظام البطولتين الفني الاحتكام الى ركلات الترجيح مباشرة في حال التعادل في الوقت الأصلي لمعرفة المتأهلَين إلى نهائيَّي المسابقتين اللذين سيقامان يوم السبت والأحد المقبلين في 31 تموز و1 آب.

إيساكا ينتظر أمواله

من جهة أخرى، واصلت الأندية تعاقداتها حيث أنهى الأنصار صفقة مهمة بتعاقده مع المهاجم اللبناني فايز شمسين الذي سبق له أن لعب مع النجمة في الموسم الذي لم يستكمل عام 2019. أما النجمة فهناك معلومات عن احتمال تعاقده مع المهاجم اللبناني المقيم في أوستراليا عمر عماشة. لكن تعاقدات النجمة تبقى معلّقة ولا يمكن تنفيذها إلا بعد رفع الحظر عن النادي من

قبل الفيفا في حال تسوية قضية اللاعب الغاني إيساكا أبودو. وقد أشار محامي اللاعب التونسي سليم بولصنام (الصورة) في اتصال مع «الأخبار» الى أن النادي لم يدفع المبالغ المستحقة مع الفوائد حتى هذه اللحظة، علماً بأن النجمة عرض على بولصنام القدوم إلى لبنان وتسلّم المبلغ نقداً، لكن المحامي التونسي وجد أن النادي غير جدي في عرضه بناء على التجارب السابقة، وخصوصاً أن المسؤولين في النادي اللبناني يملكون بيانات اللاعب المصرفية وأرقام حساباته وليسوا بحاجة إلى دفع المبلغ نقداً.

(الأخبار)

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - الصدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق الثامن
■ للتفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوفاق 15 - 01/666314 - 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

الانهيار اللبناني في سياق المؤامرة الأميركيّة

أسعد أبو خليل *

لا، لم يكن مستغرباً أبداً أن لا تحظى فضيحة التجسّس السعودي - الإماراتي - البحريني - المغربي (بواسطة تقنيّات إسرائيليّة) بتغطية في الإعلام والمواقع العربيّة. في لبنان، زعماء من كلّ الأطراف كانوا عرضة للاختراق التجسّسي الخليجي ولا من اعتراض أو استغطاع. لكن، في لبنان لا يزالون يشيرون إلى اعتقال سعد الحريري وضربه في الرياض بـ«الحادثة»». المواقع العربيّة باتت لا تقلّ انصياعاً للتحالف السعودي - الإماراتي عن الإعلام التقليدي، والسليط اللسان، تركي الشيخ يأمر إعلاميّين وفناني وفنانات لبنان. البيئة الثقافيّة والإعلاميّة كلها تلوّثت. حتى اليسار التقليدي الذي بات ليبرالياً (على طريقة «اليسار الديموقراطي» المتحالف مع الحريري والقوات والكتائب) يتجنّب فتح المواجهة على مصراعيها مع أنظمة الخليج (أسامة سعد في مؤتمر عن التطبيع الخليجي أشار إلى التطبيع من قبل «بعض الأنظمة»). هناك خشية اليوم في أوساط يسار لبنان - حتى في أوساط الحزب الشيوعي اللبناني - من أيّ ربط أو تعاطف مع إيران، إذ أن ذلك يبدو شنيعاً في الذوق الشبابي العربي، خلافاً للطاعة والسجود الذي يبدر عن الشباب العربي نحو أنظمة الخليج. بات الزهو بأطول برج في دبيّ أهم من الزهو بمقاومة تذلّ العدوّ الإسرائيلي في غزة وفي لبنان (والعدوّ عندما يرتدع - خلافاً لكل تاريخه في الصراع مع العرب - يكون مذلولاً ومهاناً أيضاً حتى بعد سكوت المدافع. لا تحتاج إلى شنّ حرب أو إلى الدفاع عن نفسك بوجه عدوان إسرائيلي كي تذلّ العدوّ: يكفي أن تمنعه من التفكير في شنّ العدوان. قبل عام 1967، كانت إسرائيل تتنمّر في الأراضي السوريّة والمصريّة، قبل أن تنقضّ على الدولتيْن وتحتفظ لنفسها بما تريد) المقاومة في لبنان غيّرت سيرة صراعنا مع إسرائيل (لم يكن لدينا في الحقيقة صراع مع العدوّ قبل انطلاق المقاومات في 1982 - وكان ذلك ضدّ مشيئة كل الدولة، ثم كان ذلك ضدّ مشيئة بعض الدولة، عندما حاول رفيق الحريري بالنيابة عن رعاته الخارجيّين تعطيل المقاومة).

يحظى العدوّ اليوم بشبكة من التحالفات العربيّة لم يسبق لها مثيل. التحالف السعودي - الإماراتي - البحريني مع إسرائيل هو بمثابة إعلان حرب ضدّ كل حركات المقاومة في المنطقة والعالم (ينسّق التحالف الخليجي مع اللوبيات الإسرائيليّة في العالم لمحاربة تجلّيات معارضة ومقاومة إسرائيل). إن التعاون العسكري الإسرائيلي - الخليجي لم يسبق له مثيل: علاقة التظامين السعودي والإماراتي بإسرائيل أقرب بكثير مما كانت علاقة إسرائيل بشاه إيران أو بتركيا في عهد الجنرالات والـ«ناتو» (طبعاً، لم يرد في الصحافة العربية خبر تعدّد اللقاءات بين نتنياهو ومحمد بن سلمان، والخبر كان من ضمن كشف تحقيقات تجسّس «مجموعة إن. إس. أو» الإسرائيليّة لحساب أصدقاء إسرائيل).

والجدال على المواقع لا يزال دائراً بين لبنانيّين حول ما إذا كان هناك «حصار» غربي - خليجي - إسرائيلي ضد لبنان أم لا. والمفارقة، أن الجدال يدور بين جمهور حزب الله من جهة وبين جمهور «حركة مواطنون ومواطنات في دولة» (ممفد) والحزب الشيوعي اللبناني من جهة أخرى. طبعاً، لا حاجة لجدال مع جمهور اليمين التقليدي والجديد (الذي يضمّ في ما يضمّ أحزاب اليمين التقليدية والثاو الثاو وجماعات «المجتمع المدني» - تسمية «المجتمع المدني» باتت بنفس فائدة ودقّة مصطلح «المجتمع الدولي»، والذي لا يعني أكثر من حلف الـ«ناتو»). والـلافت أن أطرافاً مُفترض أن تلتقي في معاداة المؤامرة الغربية - الخليجيّة - الإسرائيلية تحتاج إلى إقناع: أو أن الطرف اليساري في المعادلة، أي الشيوعيون والتقدميّون، يغوصون في بحر من المناقشات حول المصطلحات. هل ما يعانيه لبنان من أميركا وأدواتها هو حصار أو هو عقوبات؟ كأنّ النقاش يدور في ساحة محكمة وليس على صفحات مواقع التواصل. الغريب في لبنان أن أميركا وكلّ حلفائها يعلنون الحرب، وجهاراً، ضد كلّ حركات مقاومة إسرائيل في المنطقة، وهناك من يتصنّع عدم ملاحظة تلك الحرب. والحصارات والعقوبات الأميركية تأخذ أشكالاً عديدة ومتنوّعة، ولا يُقاس كلّ حصار بالحصار الجائر التي تفرضه الحكومة الأميركيّة ضد كوبا، لأن ثورته انتصرت وتحرّرت الجزيرة من سيطرة الرأسمال الأميركي. أكثر من مئة دولة في العالم تكون في أيّ وقت عرضةً لعقوبات أميركيّة. شركة «تشيكيتا بنانا» (شركة الموز العملاقة) ضغطت على الحكومة الأميركيّة قبل سنوات كي تفرض بدورها عقوبات ضد بريطانيا، لأن الأخيرة تدعم الموز المُستورد من مستعمرات سابقة، ما يقلّل من أرباح تنافس شركة «تشيكيتا» الأميركيّة. ثم إذا كانت الحكومة الأميركيّة صريحة جدّاً في فرضها عقوبات على لبنان، ما فائدة الجدال في المصطلحات؟ يأتي وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، ويقف بقرب وزير الخارجيّة اللبناني ويعلن الحرب ضد أكبر حزب في لبنان: هل يتغيّر الأمر لو كانت الحرب الأميركيّة ضد لبنان حصاراً أم عقوبات أم دبكة حائط؟

لبنان كان منذ الثمانينيّات عرضةً لعقوبات شتّى الحكومات الأميركية المتعاقبة. منعت أميركا شركة «طيران الشرق الأوسط» (متى يتغيّر الاسم كي يصبح «شركة الطيران اللبنانيّة» لوصف الشركة التي فقدت دورها الإقليمي منذ سنوات عديدة؟) من الهبوط في أميركا، ليس بسبب خطف الطائرات الذي توقّف قبل عقود، بل لأن أميركا تستخدم هذه الورقة من أجل فرض التطبيع على لبنان. وكانت إدارة كلينتون صريحة آنذاك في أن رفع هذا الحظر لا يكون إلا مكافأة للتطبيع مع إسرائيل. والحكومة الأميركيّة في عهد بايدن لم تختلف في معاداتها للبنان عن سابقتها. ها هو بادين هذا الأسبوع بالذات يُعلن تجديد مرسوم «الطوارئ» الرئاسي المُعلن من دون توقّف منذ أب 2007، أي بعد نحو سنة واحدة من حرب تمّوز (ما هذه الصدفة؟). المرسوم الرئاسي (وهو بمثابة قانون) يسمح للرئيس الأميركي باتّخاذ جملة خطوات في السياسة الخارجيّة والدفاع والاستخبارات من دون المرور بالكونغرس الأميركي. إن إعلان «الطوارئ الوطني» ضد لبنان هو بمثابة حرب - حرب وليس حصاراً ولا عقوبات - ضد لبنان بسبب وقاحة لبنان في السماح لفريق لبناني بهزيمة إسرائيل في حرب تمّوز. وإعلان بايدن نطق باسم المصلحة الأميركيّة واللبنانيّة على حد سواء، إذ هو وجد أن سلاح حزب الله هو خرق للسيادة اللبنانيّة و«تهديد استثنائي وغير عادي للأمن القومي والسياسة الخارجيّة للولايات المتحدة». أي لو أن لبنان انهزم في حرب تمّوز لكانت سيادة لبنان قد تحقّقت بالكامل - بالمفهوم الأميركي ولكان التهديد للأمن القومي الأميركي قد زال. وعندما كانت إسرائيل تغزو لبنان دورياً في الستينيّات والسبعينيّات كان سيادة لبنان - بالمنظور الأميركي - منجزة، وكانت الحكومة الأميركيّة (كما نعرف من وثائق رسميّة أميركيّة أفرج عنها) تعمد إلى منع الحكومات اللبنانيّة من التسلّح، وكانت حتى تمنع لبنان من قبول مساعدات عربيّة سخيّة جداً (في عهد سليمان فرنجيّة) من أجل أن تحتفظ إسرائيل بحق الاعتداء على لبنان من دون رادع يُذكر. إن زيارات المسؤولين الأميركيّين العسكريّين وغير العسكريّين - المعلنة وغير المعلنة - هي من ضمن إعلان «الطوارئ الوطني». طبعاً، هناك أيضاً التنسيق العالي المستوى بين الجيشيْن اللبناني والأميركي لمطاردة شوالات البطاطا وأكياس مساحيق الغسيل «برسيل» على الحدود الشرقيّة. إنه الأمن القومي الأميركي.

ليست الأزمة الاقتصاديّة والماليّة اللبنانيّة وليدة المؤامرة الخارجيّة وحدها. لا، النظام الاقتصادي الذي أرساه رفيق الحريري (المسؤول الأكبر عن الانهيار في لبنان والذي لا تزال تماثيله في لبنان قائمة، واسمه لا يرد في هتافات شتم أم جبران باسيل) تسبّب بهذا الانهيار - وكان جنبلاط وبرّي من شركاء الحريري في النهب العام المنظّم، والذي كان برنامج إفقار للشعب اللبناني. هو نظام كان يعتمد على المسكّنات (المعونات) الخارجيّة، وكان ذلك عندما كان الرعاة الخارجيّون متوافقين ومتوائمين (النظام السوري ودول الغرب وأنظمة الخليج). لكن التوافق المذكور حول لبنان تبخّر، وتحالفت دول الغرب والخليج في مشروع حرب يمتدّ من إيران إلى لبنان (مروراً بسوريا والعراق) لقطع أوصال التحالف المضاد للمصالح الأميركية. اقتصاد لبنان كان يمكن أن ينهار من قبل، لكن دول الغرب والخليج كان تتدخّل (مؤتمرات «باريس» وجولات رفيق الحريري) لمنع الانهيار لأن لبنان كان يقوم بمهام تخدم مصالح دول الغرب وأنظمة الخليج (وكان النظام السوري متحالفاً مع الخليج والغرب على عدد من الملفّات، وكان الحدّ من نفوذ حزب الله من أحد مهام رفيق الحريري. وفي رحلة رفيق الحريري للقاء جورج دبليو بوش في عام 2002 كان الحريري يريد أن يقايض مساعدات للبنان مقابل دور له في الترويج لمشروع الاستسلام العربي).

المؤامرة الأميركيّة على لبنان ليست جديدة. المؤامرة بعمر السياسة الأميركية نحو الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية. كان لبريطانيا ومخابراتها دور كبير في لبنان، خصوصاً وأن الدولة لعبت دور القابلة القانونيّة لاستقلال لبنان. لكن العدوان الثلاثي على مصر وتدخّل أيزنهاور آذن لسيادة أميركيّة مطلقة على المنطقة، خصوصاً وأن لبنان كان ساحة مهمة لمحاربة الشيوعيّة عبر البرلمان وعبر الإعلام اللبناني المرتهن والمأجور منذ آنذاك. كانت العهود المتوالية، بما فيها عهد شهاب، تتلقّى تمويلاً مقابل محاربة الشيوعيّة. الأوراق الخاصّة لفريد شهاب تعطي لمحة عن مدى التدخّل الأميركي في شؤون لبنان (مُفترض أن نصدق أن شهاب، بعد تقاعده من الأمن العام، فتح على حسابه لحساب فاعلي خير). والنظر إلى لبنان في نظر أميركا يمكن أن يأخذ بعدَيْن متناقضيْن: إما أن لبنان هو «الاستثناء» الكون الذي تتدخّل أميركا فيه لأنه - على قول خطب شارل مالك - شريك فاعل مع «العالم الحرّ» (وهذا العالم الحرّ تضمّن في ما تضمّن في الحرب الباردة أنظمة الطغاة في الخليج ومبوبوتو سيسي سيكو في زائير وشاه إيران وجنرالات تركيا). النظرة الثانية ترى أن لبنان لا قيمة له في الحسابات الأميركية. لكن قيمة أي دولة تتغيّر بنظر أميركا بناء على دور هذه الدولة وإمكانية استخدامها لصالح أميركا أو إسرائيل. دور الأردن تغيّر عبر السنوات لأن الحكومة الأميركية والإسرائيليّة باتت أقرب إلى أنظمة الخليج الوثيقة الصلة باللوبي الإسرائيلي. ودور لبنان تغيّر كثيراً عبر السنوات. في سنوات الحرب الباردة، كانت الرجعيّة اللبنانيّة سبّاقة ورائدة في محاربة الشيوعيّة بالنيابة عن حلفاء أميركا. كما أن دور اليمين في النظام تعزّز بعد انطلاقة المقاومة الفلسطينيّة، عندما شاركت دول الغرب بصورة فعّالة في فوز الحلف الثلاثي الرجعي («كتائب» و«أحرار» و«كتلة وطنيّة»). ينسى البعض أن مواقف ريمون إدة لم تتغيّر إلا بعد اندلاع الحرب) في انتخابات 1968، والتي كانت الرافعة التي وصل من خلالها الفريق الانعزالي المسلّح إلى السلطة في انتخابات 1970 الرئاسيّة. وأميركا كانت شريكاً مباشراً وقويّاً في الحرب الأهليّة: لم ترَ فقط ميليشيات اليمين بل هي رعت التنصيب الإسرائيلي لبشير الجميّل وأخيه في السلطة، وتدخّلت عسكريّاً لإنقاذ حكم أمين الجميّل الفاسد (ابنه يحارب الفساد بلا هوادة اليوم). وحتى في حقبة النظام السوري، حافظت الحكومة الأميركيّة على وجود ودور لها، لكن رئاسة إميل لحّود قلّصت الدور الأميركي لأنه - بعكس من سبقه وخلفه - كان رئيساً مقاوماً وعنيداً في مقاومة الهيمنة الأميركيّة لصالح إسرائيل.

لم تخلق أميركا الأزمة الاقتصاديّة بل هي فاقمتها وعمّقتها: إن الدور الأميركي في عهد ترامب في احتجاز (وضرب وركل وصفع ولكم) سعد الحريري ليس معروفاً بعد: والمعروف (حسب مجلّة «إيكونومست») في حينه) أن احتجاز الحريري ترافق مع هجرة أموال كبيرة عن لبنان (الهجرة الكبيرة الأولى في الانهيار). كان ذلك جزءاً من الحرب الخليجيّة - الإسرائيليّة - الغربيّة على لبنان. ينسى البعض في لبنان ليس فقط حدث احتجاز وضرب الحريري، بل إجباره على تلاوة بيان حرب أهليّة يتّهم حزب الله بكل موبقات الكون. وليس هناك ما يشرح الدور الأميركي في الأزمة اللبنانيّة أكثر من شهادة جيفري فيلتمان أمام الكونغرس الأميركي بعد الانهيار اللبناني. هو قال من جملة ما قاله آن: 1) دول الخليج لا تمنح مساعدات لدول عربيّة من دون مشورة وطلب وموافقة أميركيّة. طبعاً، لأنظمة الخليج أسبابها الواضحة والمعلنة لمنع المعونة عن لبنان وللمساهمة في إفقاره. 2) أن أميركا جادّة في منع محاسبة أو محاكمة أي من زعماء الفساد التابعين لها (هو سمّى ميقاتي وجنبلاط والسنيورة). 3) إن خدمة إسرائيل ومحاربة أعدائها هو الهدف الأول للسياسة الأميركيّة في لبنان. وهذا الهدف، منذ الستينيّات، هو العامل المُقرّر للسياسة الأميركيّة نحو لبنان.

ليس صدفة أن شعوب إيران وكوريا الشماليّة وكوبا وفنزويلا ولبنان كلّهم يعانون من أزمة اقتصاديّة خانقة - أم أننا نقول إن الانهيار في كل هذه الدول هو بنيويّ محض ولا علاقة لأميركا به؟ أم نقول لأن كوبا وإيران تتعرّضان لحصار، فهذا يعني أن لبنان في منأى لأن العقوبات من نوع آخر؟ - عندما تعرّض الاقتصاد السوداني لسقوط ذريع في عهد البشير هبّ النظام السعودي والإماراتي إلى إنقاذه لكن مقابل تحوير تحالفاته ضد حماس وإيران وحركات المقاومة. والطعمة العسكريّة الحاكمة تلقّت دعماً جديداً من صندوق النقد ومن البنك الدولي بعد إعلان التطبيع مع إسرائيل (وبالرغم من هذا السخاء المفاجئ الذي هطل على السودان، فإن الشعب السوداني لا يزال يحتجّ ضد تفاقم الأزمة الاقتصاديّة - لعلّ ثمن المزيد من المساعدات سيكون استقبالاً رسميّاً حافلاً لرئيس وزراء العدوّ). واليوم أعلن أن الإمارات والسعودية ستعفيان السودان من 60% من ديونها وأن كلّاً منهما ستقدّم 3 مليارات للطعمة الحاكمة. هذه مكافأة خليجيّة للتطبيع السوداني.

إن الحديث عن المؤامرة الأميركيّة ضد لبنان - أو الحرب الأميركيّة ضد لبنان وهي حرب إقليميّة تشنّها أميركا ضد أعداء إسرائيل وأعدائها في المنطقة - لا يعفي، أو لا يجب أن يعفي، المسؤوليّة الداخليّة للطبقة الحاكمة. صحيح أن الطبقة الحاكمة (رؤساء المؤسسات الدينيّة وزعماء الفساد وكبار المصرفيّين والتجار وقادة الأجهزة العسكريّة والأمنيّة وأصحاب المحطات التلفزيونيّة الثلاث) مرتهنة في أكثرها للحكومة الأميركيّة وأنظمة الخليج، لكن مسؤوليّتها في الكثير من الفساد والقمع الطبقي هي مسؤوليّة تتحمل هي تباعتها، أو يجب أن تتحمّل. صحيح أن أميركا ترعى الفاسدين وتحميهم وتدافع عنهم، وهي المسؤولة عن بقاء رياض سلامة، خصوصاً في السنوات الماضية. لكن هناك أحزاب سياسية وزعماء ومصارف وإعلام ورجال دين مسؤولون هم أيضاً عن حماية رياض سلامة، وهم شركاء وحماة له في موقعه. أميركا لن تسمح بمحاسبة رياض سلامة (لا في لبنان وفي أوروبا، بالرغم من تقارير صحافيّة - هل سمحت أميركا برصد أموال حسني مبارك أو زين العابدين بن علي؟) لكن هناك شركاء في الداخل اللبناني يحمون رياض سلامة.

إن المبالغة في تصوير دور المؤامرة في لبنان - على كبر هذه المؤامرة والحرب الأميركيّة ضد لبنان - يمكن أن تقلّل من مسؤوليّة الطبقة الحاكمة وأن تحوّر الأنظار عن فساد داخلي وجوْر طبقي، كان في صلب معادلة الاقتصاد الحريري الذي تشارك فيه بري وميقاتي وغيرهم في 8 و14 آذار. (إن سرعة تحوّل كل أطراف 8 آذار - باستثناء حزب الله والحزب القومي وحركة الشعب - نحو النظام الإماراتي بعد إعلان التحالف مع إسرائيل يظهر مدى خضوع الطبقة والأحزاب الحاكمة لعنصر المال). حزب الله هو العنصر المُستهدف من الحرب الأميركيّة: ليست «جمول» ولا المقاومة الفلسطينيّة هي المستهدفة. كلّما زادت فعاليّة المقاومة في لبنان - أو في فلسطين - ضد إسرائيل كلّما زاد استهداف التحالف الأميركي - الخليجي - الإسرائيلي لها. لم يكن وليد جنبلاط أو توفيق سلطان أو إبراهيم قليلات أو فؤاد شبقلو مستهدفين من قبل إسرائيل كما تستهدف إسرائيل قادة «حماس» و«الحزب». (عمليّات الاغتيال ومحاولات الاغتيال التي تعرّض لها قادة الحركة الوطنيّة، بمن فيهم جنبلاط وإبراهيم، كانت من صنع محلّي، إمّا بتدبير من مخابرات جوني عبده أو مخابرات سيمون قسّيس أو مخابرات القوّات اللبنانيّة). المقاومة في لبنان تشغل أميركا وإسرائيل لأنها ببساطة فاقت كل تجارب المقاومات في المنطقة العربيّة، وهي أذلّت إسرائيل أكثر من فعل جيوش الأنظمة.

وليس هناك اليوم أي جبهة أو أي تحزّك في مواجهة الحرب الأميركيّة. الحزب الذي يُفترض أن يقود المواجهة لا يزال يتمسّك بسعد الحريري رئيساً للحكومة: هل يمكن أن يقود الحريري الحرب المضادة ضد المؤامرة؟ وحليفا الحزب (باسيل وبرّي) خاضعان بدرجة أو بأخرى للضغوط الأميركيّة (بالتهديد المباشر أو بالترغيب بحمايتهم من عقوبات وحفظ إرث الدرّيات - والذي تصيبه العقوبات لا يصبح حرّاً لأنه يقع في أسر محاولة الفكاك). الحزب مقيّد بحلفائه في إمكانيّة شن ردّ اقتصادي وإعلامي وسياسي ضد المؤامرة الجارية. حتى اقتصادياً، أميركا صريحة في تهديدها: هي من ناحية لا تسمح للبنان بقليل من التعافي على طريق مدّه بمساعدات عاجلة، لكن هي لن تسمح للبنان تحت شتى الذرائع بأن يلجأ إلى خيار شرقي جدي. لكن هل قدّم الحزب مشروعاً اقتصادياً شرقيّاً متكاملاً يمكن أن يلتفّ حوله المحتاجون في لبنان؟ حسن مقلّد يحاول أن يقدّم بعد الاقتراحات لكن ليس هناك بعد من عروض جديّة روسية أو صينيّة لحكومة لبنان. هل زار وفد من البلديّن لبنان مقدّماً للشعب اللبناني رزماً من الإصلاحات؟ حتى في سوريا، وهي حليف أقرب لروسيا وللصين من لبنان، وحيث ليس هناك من فيتو أميركي، لم تقدّم روسيا أو الصين مشروع إعمار هناك.

تضمّنت زيارة وزير الخارجيّة الصيني لدمشق (وهي الأولى منذ عشر سنوات) مؤخراً حديثاً للمرة الأولى عن مشاريع إعمار لكن ليس هناك من اقتراح محدّد أو مشروع من ضمن «الحزام والطريق». والحزب، لأسباب تجنّب الفوضى وتجنّب صراع مع الحلفاء، يخشى من تقديم مشروع جذري للعمل الاجتماعي، وليست الاشتراكية في عقيدة الحزب. وقيادة الحزب لا تزال تناشد أصحاب المصارف (أدوات في الحرب الأميركيّة) الرأفة بالناس، كما أن أمين عام الحزب برّا قادة المصارف السارقين من المسؤولية عن تهريب الأموال، محمّلاً المسؤولية لأميركا، بأنها هي منعتهم من إرجاع المال.

لبنان حتماً عرضة لمؤامرة أميركيّة - خليجيّة - إسرائيليّة لكن ليس هناك في مواجهتها من حركة منظمة. على العكس، غياب الرد السياسي والاقتصادي المنظّم يسمح لخطاب تسخيف المؤامرة والحرب الأميركيّة أن يهيمن.

*كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

(أرشيف)

المبالغة في تصوير الحرب الأميركيّة ضد لبنان، على كبرها، قد تقلّل من مسؤوليّة الطبقة الحاكمة وتحوّر الأنظار عن فساد داخلي وجوْر طبقي

في ذكرى ثورة يوليو
عبد الناصر والديمقراطية

حسام عبد الكريم *

خصوم جمال عبد الناصر يشنعون عليه بأمور كثيرة، لعل من أهمها مسألة غياب الديمقراطية عن مصر أيام حكمه وإلغاء الاحزاب السياسية وانفراد «الاتحاد الاشتراكي» كتنظيم سياسي وحيد يحكم البلد.

ونحن لن نجادل في شأن غياب مظاهر الديمقراطية المعروفة وأحادية التمثيل السياسي في مصر أيام حكم عبد الناصر، ولن نزعم أنه كان نظاماً ديمقراطياً ليبرالياً تعددياً. ولكننا ندعو الى فهم السياق التاريخي وظروف المرحلة عند النظر الى فترة حكم عبد الناصر، لا التعامل معها بمعايير اليوم فقط.

فالمرحوم جمال عبد الناصر قاد بنجاح ثورة حقيقية بالمعايير كافة سنة 1952. ليست انقلاباً عسكرياً ولا تمرد مجموعة ضباط، بل حركة تنطبق عليها جميع مواصفات الثورات، والتي أهمها وأبرزها التغيير الجذري للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في البلد.

ومذ صار في مركز القيادة، انخرط عبد الناصر على الفور في مجموعة مشاريع تغيير وبرامج كبرى في مصر، نلخّصها كما يلي:

أولاً: مشروع التحرر الوطني من الاستعمار وبقاياه. فقد كان استقلال مصر شكلياً، وكان البلد لا يزال يخضع لتحكم بريطانيا العظمى التي لها قوات موجودة على الارض في مصر وتسيطر على الطبقة العليا في البلد، وكان سفيرها في القاهرة أكثر أهمية ونفوذاً من الملك ذاته. فإذن كانت أولى الجبهات التي اشتغل عليها عبد الناصر هي الخلاص من بريطانيا واستعمارها. وبالفعل نجح في المرحلة الاولى في انتزاع «اتفاقية جلاء» من بريطانيا، ثم أتبعها بملحمة قناة السويس التي أمّمها وأعادها إلى الشعب المصري، ما أدى الى العدوان الثلاثي وحرب 1956 .

ثانياً: مشروع مواجهة الكيان الصهيوني في فلسطين. فقد ورث عبد الناصر عن الملك فاروق جيشاً مهزوماً في حرب 1948 التي أدت الى إنشاء كيان صهيوني عدواني متربّص على حدود مصر الشمالية الشرقية. وسرعان ما كشّر هذا الكيان عن أنيابه، فانخرط في هجوم القوى الاستعمارية القديمة على مصر سنة 56. وكان على عبد الناصر أن يستنفر قدرات مصر وموارِدها في مواجهة «دولة اسرائيل» المدعومة من الغرب بلا حدود.

ثالثاً: مشروع القضاء على الإقطاع والخلل في توزيع الثروة. جعل عبد الناصر مبدأ العدالة الاجتماعية، أو الاشتراكية، على رأس أولويات نظام حكمه الجديد. فكبار الاقطاعيين من الباشوات والأغوات، وهم أقلية صغيرة اغلبهم من الاصول التركية والشركسية، كانوا يمتلكون اكثر من 95% من الاراضي الزراعية في مصر، بينما الغالبية العظمى من اهل البلد، الفلاحون خصوصاً، لا يكادون يمتلكون شيئاً، بل يعملون في الزراعة بنظام أشبه ما يكون بالسُخرة لدى الاقطاعيين الاثرياء، حيث لا يحصل الفلاح لقاء عمله المضني سوى على كسرة خبز له ولعياله الذين يرثون البؤس من بعده جيلاً وراء جيل. ولإصلاح هذا الخلل البنيوي المتأصل في البلد، قرر عبد الناصر سلوك الطريق الصعب حتى لو أدى ذلك الى غضب ذوي المال والجاه وكرههم له، فقرر تفتيت الملكيات الاقطاعية الضخمة وتوزيع اراض على الفلاحين، خمسة دونمات للواحد، ليتيح للفلاح امتلاك بعض الارض التي أمضى حياته يعمل فيها. لقد كان برنامجاً ضخماً لإصلاح الاوضاع الخاطئة في مصر، أصاب فيه عبد الناصر وأخطأ، ولكنه لم يتردد في خوض هذا المسار رغم صعوبته وخطورته عليه وعلى نظام حكمه.

رابعاً: مشروع توفير الخدمات الاساسية، وخصوصاً التعليم والصحة، لعموم الشعب. لم يكن التعليم متاحاً لغالبية الساحقة من المصريين. فقط الاثرياء، في أحياء القاهرة الغنية، وكبار الاقطاعيين كانت لهم المدارس الخاصة والاجنبية وجامعة «فؤاد الاول». أما اهل الارياف والصعيد والمناطق الشعبية فلم يكن لهم سوى الأميّة والجهل إلّا من كان محظوظاً فالتحق بأحد «الكتاتيب» الموجودة في بعض القرى. أطلق عبد الناصر برنامجاً هائلاً للتعليم المجاني، مدارس وجامعات، لكل ابناء مصر وفي جميع أرجائها. والكلام نفسه يقال عن موضوع الصحة، حيث أنشأ عبد الناصر المستشفيات والمراكز الصحية في كل مكان، وأتاح العلاج لكل الناس وعلى نفقة الدولة.

خامساً: مشروع السد العالي وتوفير الكهرباء لمصر. إنه المشروع الأبرز والأضخم والذي ما زالت مصر الى اليوم تعتمد عليه في الزراعة والطاقة الكهربائية ومياه الشرب. وطبعاً الطريق لم يكن سهلاً، واضطر عبد الناصر الى خوض صراع سياسي دولي على اكبر مستوى لإنجاز مشروعه التاريخي. بعد أن حاولت أميركا ومعها البنك الدولي والرأسمالية العالمية إحباطه بكل السبل. ولكن عزيمة عبد الناصر وإصراره أديا في النهاية الى تحقيقه بالتعاون مع الحليف السوفياتي. والنتيجة كانت توفير الكهرباء في جميع انحاء مصر، بعد أن كانت تعتمد على الفوانيس ومصابيح الزيت.

سادساً: مشروع النهضة الصناعية وتأسيس الصناعات الثقيلة في مصر. كانت مصر لا تزال في حالة بدائية من ناحية الصناعة. فالبلد يعتمد على اقتصاد يقوم على الزراعة والحرف اليدوية وبعض الخدمات، من دون بنية تحتية ولا صناعات أساسية ثقيلة. أنشأ عبد الناصر مصانع الحديد والصلب والاسمنت والغزل والنسيج والالمنيوم والصناعات الكيماوية والكابلات الكهربائية والاسمدة واطارات السيارات،، اكثر من 750 مصنعاً تم انشاؤها، وهي كلها صناعات اساسية لا غنى عنها لأي بلد في حالة نموّ. وبقيت الدولة المصرية تعتمد عليها الى أواخر عهد حسني مبارك حين بدأت بتصفيتها لحساب كبار الحيتان من لصوص المال والاعمال.

تلك كانت نبذة عن المشاريع التي انهمك عبد الناصر في انجازها والشغل عليها. وهي مشاريع كبرى وهائلة وتحتاج الى جهد فائق وعمل متواصل بلا كلل. مشاريع نقلة نوعية وذات اهمية تاريخية فائقة. فلم يكن الرجل يملك «ترف» احتمال أحزاب الباشوات وديمقراطيتهم الزائفة المقتصرة على طبقة الاثرياء، والاقطاعيين ومناورات برلمانهم الذي لا يصل سقفه الى مستوى السفارة البريطانية. من المؤكد أن ظروف مصر في تلك الايام، وخصوصاً في بداية الثورة، لم تكن تسمح بالمضيّ قدماً في تلك المشاريع إلّا بوجود سلطة مركزية قوية ذات ارادة ورؤية وقادرة على اتخاذ قرارات صعبة وتنفيذها من دون إعاقات ودون الحاجة الى نيل موافقة أحزاب النخبة القديمة وتأييدها. كانت مسألة اولويات بالنسبة إلى عبد الناصر، ونهوض البلد واصلاح اوضاعها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بنظره أهم من مظاهر الديمقراطية. والخلاصة ان ما قام به عبد الناصر يدخل ضمن نطاق الثورات الكبرى في تاريخ الشعوب، حركة التاريخ، تغيير شامل في بنية البلد الاجتماعية والاقتصادية، رفع طبقات وإنزال طبقات، تغيير في عناصر القوة ونظام الانتاج. ولا يوجد في التاريخ أمثلة كثيرة على حركات تغيير كبرى من هذا النوع تمت بشكل ديمقراطي سلس!

ونحن هنا نعيد التأكيد أننا لسنا ضد الاحزاب ولا الديمقراطية ولا الانتخابات، أبداً، بل نراها طريق الحاضر ولا غنى عنها لمستقبلنا. ولكننا نشرح ونحلل ما حدث في الماضي، وكيف نفهمه في سياقه التاريخي. فيجب أن لا ننسى أن معايير الزمان والظروف كانت مختلفة عن أيامنا.

* كاتب و باحث من الاردن

الحدث بافتتاحها خطّ أنابيب «غوره جاسك» لتصدير النفط، بات يمكن إيران تصدير الخام عبر الخليج وبحر عُمان على السواء، فضلاً عن نقل الصناعة الإيرانية من جنوب غرب البلاد إلى جنوب شرقها. خطوةٌ عدّها الرئيس حسن روحاني، بمثابة «إنجاز تاريخي» للشعب الإيراني، كونها تمثّل نجاحاً في اتّجاه الالتفاف على العقوبات النفطية الأميركية. فيما علّقت وسائل الإعلام الغربية على المشروع الذي سيُسهم في اختصار مسار نقل النفط، باعتباره محاولة من الجمهورية الإسلامية لتفادي عبور مضيق هرمز

إيران تدشّن مساراً جديداً للنفط «غوره جاسك» يتحدّى العقوبات

رأى روحاني أن افتتاح المشروع يمثّل ردّاً حازماً على جميع المتآمرين (أ ف ب)

طهران - **محمد خواجوني**

في خضمّ العقوبات الأميركية، والغموض الذي يكتنف مسار محادثات فيينا لإعادة إحياء الاتفاق النووي، دشّنت إيران خطّ أنابيب نفطي، يمكّنها من تصدير نفطها الخام عبر بحر عُمان، من خلال تفادي عبور مضيق هرمز. وقد افتتح الرئيس الإيراني المنتهية ولايته، حسن روحاني، أوّل من أمس، خط أنابيب «غوره جاسك»، عادّاً إياه بمثابة «إنجاز ضخم، ويوم تاريخي للشعب الإيراني». ورأى أن «افتتاح المشروع يمثّل ردّاً حازماً على جميع المتآمرين، خصوصاً الولايات المتحدة الأميركية».

خطّ الأنابيب هذا، يبدأ من منطقة غوره التابعة لمدينة غناوة في محافظة بوشهر جنوب غرب إيران، ليتّصل بالمحطة والمنشآت البحرية للصادرات والواردات، على بعد 60 كيلومتراً غربي مدينة جاسك جنوب إيران، وذلك بعد مروره في محافظات بوشهر وفارس وهرمزكان. وبحسب ما أعلنت وزارة النفط الإيرانية، من المقرّر تصدير 300 ألف برميل نفط يومياً في المرحلة الأولى، عبر هذه الأنابيب التي يبلغ قطرها 42 إنشاً وطولها ألف كيلومتر، بينما بلغت تكاليف إنشائها مليار وخمسمئة مليون يورو. كذلك، من المتوقّع أن تبلغ سعتها، في المستقبل، مليون برميل من النفط يومياً. وأكدت الوزارة أن تدشين هذا المشروع سيُسهم في اختصار مسار نقل النفط، في ضوء الاعتماد على خط أنابيب غوره - جاسك البالغ طوله ألف كيلومتر، إضافة إلى تنويع محطّات تصدير النفط الإيراني. وتفيد تقديرات الوزارة بأن نفقات نقل كل برميل نفط إلى جاسك ستنخفض من 60 سنتاً بواسطة ناقلات النفط، إلى 40 سنتاً عبر خط الأنابيب هذا.

وكانت إيران تصدّر النفط عن طريق جزيرة خارك في الخليج، بيد أن الحكومة تؤكد أنها، مع افتتاح خط الأنابيب الجديد، لن تكتفي بميناء واحد للتصدير، بل ستعمل على ضمان أمن صادراتها النفطية، من خلال توفير إمكان تصدير النفط عبر الخليج وبحر عمان، على حد سواء. وقد أثيرت فكرة تنفيذ هذا

> **اعتبرت وسائل الإعلام الإيرانية تدشين خط الأنابيب نجاحاً في الالتفاف على العقوبات**

المشروع، للمرّة الأولى، قبل نحو أربعين عاماً، بعد اشتداد الحرب بين إيران والعراق إبان حكم صدام حسين. حينها، تسبّب قصف القوة الجوية العراقية للرصيف النفطي الإيراني في جزيرة خارك، في التوقّف المؤقّت عن تصدير النفط، الأمر الذي دفع الحكومة الإيرانية إلى أن تضع على جدول أعمالها توفير إمكانية عدم الاعتماد على محطّتها النفطية الوحيدة في خارك.

وفيما اعتبرت غالبية وسائل الإعلام الإيرانية تدشين خط الأنابيب وتوفير إمكانية شحن النفط من شواطئ مكران على بحر عمان، بأنه يمثّل نجاحاً في اتجاه الالتفاف على العقوبات النفطية الأميركية والتصدير الحرّ للنفط، أشارت وكالات الأنباء العالمية، إلى أن هذا المشروع، باعتباره محاولة من إيران لتفادي عبور مضيق هرمز. ويوصل هذا المضيق الاستراتيجي الرئيس الذي يمرّ عبره خُمس النفط المنتج في العالم، ليصل إلى أسواق آسيا وأوروبا وشمال أميركا. وفي هذا السياق، يذهب بعض المراقبين إلى اعتبار أن أهمية خطّ الأنابيب الجديد ومحطّته التصديرية، تكمن في بُعدهما عن الخليج ومضيق هرمز، خصوصاً في ظلّ التوتّر القائم بين طهران وواشنطن. وكان المسؤولون الإيرانيون قد توعّدوا بأنهم سيغلقون مضيق هرمز، في مواجهة التهديدات الأميركية التي أُطلقت في عهد الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامب، وتصميم الولايات المتحدة على تصفير صادرات النفط الإيرانية.

عموماً، يبدو أن لدى إيران، التي تمرّ بمشاكل في بيع النفط، نظرة بعيدة الأمد، تتّجه نحو الوصول إلى خارج مضيق هرمز. وفي هذا الإطار، أفادت وكالة الأنباء النفطية «شانا»، التابعة لوزارة النفط، بأن الفكرة الأولية لدور حول النظرة إلى أن إيران تريد تفادي عبور مضيق هرمز، ورفع القدرة على المساومة على بيع النفط وتصديره، لكنّ الموضوع الأهم يتمثّل في «بناء حضارة جديدة شرقي مضيق هرمز وشواطئ مكران»، و«الانتقال الجغرافي لصناعة النفط الإيرانية»، من جنوب غرب إيران إلى جنوب شرقها.

اليمن

قوات صنعاء تعزّز مكاسبها... من البيضاء إلى مأرب!

صنعاء - **رشيد الحداد**

صدّ الجيش اليمني و«اللجان الشعبية»، صبيحة عيد الأضحى، هجوماً مزدوجاً نفّذته قوات الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، من جبهة المالصة شمال مديرية رحبة الواقعة جنوب مأرب، لتخفيف الضغط على قواتها المرابطة عند أطراف المديرية. لكن فشل العملية أفقدها، للمرّة الأولى منذ ثلاث سنوات، مكاسب كبيرة على الأرض، بعدما قامت بنقل السلاح الثقيل من مواقعها السابقة في مديرية ناطع شرق البيضاء، ومناطق الجريبات الواقعة في نطاق مديرية نعمان، دافعة بثقلها العسكري نحو مديرية بيحان في شبوة، ومنها إلى مناطق جنوب مأرب، في محاولة لتنفيذ عملية سريعة توصلها إلى خطوط التماس في مديرية الصومعة في محافظة البيضاء. وعلى رغم محاولة قوات هادي العودة إلى مديرية ناطع، واستعادة ما خسرته في مديرية نعمان شمال البيضاء، واصلت قوات صنعاء التقدّم لفرض سيطرتها على مواقع استراتيجية يمكن من يشرف عليها أن يتحكّم في مسار العمليات القتالية في المناطق الواقعة بعد عقبة نعمان، ومنطقتَي الجلسة وعقبة القنذع.

وراى مراقبون أن «عملية الأضحى أفشلت مخطّطاً عسكرياً كبيراً رتّبت له، على مدى أسابيع، قوات هادي بتنسيق وتمويل من غرفة عمليات التحالف، وذلك بعد فشل عملية النجم الثاقب التي نفّذتها هذه القوات في مديريتَي الصومعة والزاهر في محافظة البيضاء». وأفادت مصادر استخبارية في صنعاء بأن قوات هادي، وبتنسيق مع غرفة عمليات «التحالف» في الرياض، كادت تستكمل خطة الهجوم في مديريات رحبة والماهلية جنوب مأرب، قبيل أيام العيد، بهدف استنزاف الجيش و«اللجان» في أكثر من جبهة. وفي موازاة ذلك، بدأت تلك القوات، مسنودة بغطاء جوي كثيف تؤمّنه طائرات «التحالف»، بشنّ عملية عسكرية ضدّ قوات صنعاء في الجبهات الغربية والشمالية الغربية المتاخمة لمأرب خلال أيام عيد الأضحى، بهدف إزالة الخطر عن المدينة، لكنها وُضعت أمام واقع عسكري جديد على إثر تمكّن الجيش و«اللجان» من إغلاق جميع الثغرات التي راهنت عليها قوات هادي جنوب مأرب، وإفشالهما خطة الهجوم، ما دفع قوات هادي إلى توسيع خطّ دفاعها على امتداد جبهات جنوب وغرب وشمال غرب مدينة مأرب، بعدما منيت بانتكاسة عسكرية، الثلاثاء الماضي، في محافظة البيضاء (وسط اليمن). وتمكّن الجيش و«اللجان»، إثر شنّهما هجوماً واسعاً، من السيطرة على منطقة الجريبات في مديرية ناطع، وأجبرا قوات هادي، بعد أسر العشرات من عناصرها، على التراجع والفرار في اتجاه مديرية بيحان (شبوة) ومديرية العبدية الواقعة جنوب مأرب.

> **وصفت قوات هادي الانتكاسة في مديريتي نعمان وناطع في البيضاء بـ«الخطا العسكري الفادح»**

وعلى مدى الأيام الماضية، وصفت قيادات في قوات هادي انتكاسة الثلاثاء في مديريتي نعمان وناطع في البيضاء بـ«الخطا العسكري الفادح»، الذي مكّن الطرف الآخر من فرض حضوره العسكري في مناطق جديدة تتيح له شنّ هجمات من مسارات متعدّدة للتقدّم جنوب مأرب. وقالت مصادر عسكرية موالية لهادي إن الخطّة العسكرية التي أعدّها «التحالف» ووزارة دفاع هادي في مأرب، كان هدفها تنفيذ التفاف عسكري واسع من مديريات جنوب مأرب بعيد قواتها إلى البيضاء ويفتح عدّة جبهات في نعمان وناطع والصومعة وولد ربيع والقريشية في الوقت نفسه. لكن قوات هادي تجاهلت المعلومات الاستخبارية التي أكّدت استعداد قوات صنعاء لشنّ هجوم خلال أيام العيد. فقام «اللواء 19» التابع لوزارة دفاع هادي بسحب السلاح الثقيل وبعض قواته من جبهات ناطع، ما أدّى إلى فشل خطة الهجوم وتسبُّب بـ«انتكاسة الأضحى» التي تفيد مصادر عسكرية في صنعاء بأن مكاسبها توازي معركة عام كامل، وبأن الجيش و«اللجان الشعبية» تمكّنا من السيطرة على نحو 200 كيلومتر مربع في عملية عسكرية مباغتة استمرت حتى ثالث أيام العيد. ووفق المصادر، لا تزال العمليات مستمرّة في شرق مأرب وجنوبها «حتى تطهير جميع المناطق وتأمينها من قوات الطرف الآخر». وبحسب المؤشرات على الأرض، فإن المكاسب العسكرية التي حقّقها الجيش و«اللجان»، خلال الأيام الماضية، في مديريتي نعمان وناطع، تُمكّنهما من تنفيذ عملية شاملة لتأمين جميع المناطق المحايدة في محافظات شبوة والبيضاء وجنوب مأرب، إلى جانب تقدُّمهما في مسارات متعدّدة لتطهير أيّ جيوب في مديريات الماهلية والعبدية ورحبة وجبل مراد جنوب مأرب، وصولاً إلى مناطق الجوبة وحريب، في حال عدم حدوث أيّ متغيرات عسكرية جديدة على الأرض خلال الأيام المقبلة.

أفشلت «عملية الأضحى» مخطّطاً عسكرياً كبيراً رتّبت له قوات هادي بتنسيق وتمويل غرفة عمليات «التحالف» (أ ف ب)

خامنئي: لا تلوموا سكان خوزستان

بعد أيام على الاحتجاجات التي تشهدها محافظة خوزستان، دعا المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، آية الله علي خامنئي، أمس، سكّان المحافظة إلى عدم توفير «ذريعة» لأعداء إيران، مشدّداً على أنّه لا يمكن «لومهم» لإبداء انزعاجهم من هذه «المشكلة».

وتشهد محافظة خوزستان، الغنية بالنفط والحدودية مع العراق، احتجاجات، منذ الخميس الماضي، على خلفية شحّ المياه. وخلال الأيام الماضية، قُتل ثلاثة أشخاص على الأقل في هذه المحافظة، بينهم متظاهر وضابط شرطة، وفق ما أفادت وسائل إعلام إيرانية نقلاً عن مسؤولين. وأعلن التلفزيون الرسمي، أمس، مقتل شخص وإصابة اثنين بإطلاق نار خلال «أعمال شغب»، ليل الخميس في محافظة لورستان (غرب)، ملمّحاً إلى أنها كانت على صلة باحتجاجات خوزستان.

وقال خامنئي متوجّهاً إلى سكّان المحافظة الجنوبية الغربية: «على الناس أيضاً أن ينتبهوا إلى أنّ العدو يريد الاستفادة من كلّ شيء صغير ضدّ البلاد والثورة الإسلامية وضدّ المصالح العامة للناس»، وفق بيان نشره موقعه الإلكتروني.

وأشار المرشد الأعلى إلى أنّه «خلال الأيام السبعة أو الثمانية الماضية، كان أحد هواجسنا قضية خوزستان والمياه ومشاكل الناس هناك». وأضاف: «إنه لأمر مؤلم حقاً أن يرى المرء أنّ محافظة خوزستان، مع هؤلاء الناس الأوفياء وهذه الإمكانات والموارد الطبيعية والمصانع الكثيرة الموجودة في تلك المحافظة، يصل فيها وضع الناس إلى نقطة تجعلهم منزعجين ومستائين».

(أ ف ب)

تقرير

أوروبا «تهادن» الصين: مصالحنا أوّلاً

لم يكن للتقارب الأميركي - الصيني الذي افتتحه ريتشارد نيكسون، قبل نصف قرن، أن يصمد طويلاً في ظلّ التحوّلات التي طرأت على «النظام الدولي». وانتقال الصين من موقع الدولة التي «لا تشكّل أيّ تهديد للمصالح الأميركية»، إلى «المنافس الاستراتيجي» الأوّل الذي بات صعوده يمثّل «خطراً» على الكتلة الغربية. وما يعنيه ذلك من حاجة إلى رصّ الصفوف وتعزيز التحالفات خصوصاً على ضفّتَي الأطلسي. لكنْ دون العشم الأميركي. في ظلّ الإدارة الجديدة، انقسام أوروبي واضح يجلّيه مسار العلاقات الشائك، وما ارتكته سياسة «أميركا أوّلاً» من ثقل على التحالفات التقليدية، فضلاً عن المصالح الأوروبية الكامنة في الحفاظ على علاقات متوازنة مع «الشريك» الصيني، الذي تجمعها معه مصالح اقتصادية عابرة للانقسامات

بتول سليمان

خلال زيارته الأخيرة إلى العاصمة الأميركية، واشنطن، حدّد وزير الخارجية الفرنسي، جان إيف لودريان، موقع الصين بالنسبة إلى العالم الغربي، باعتبارها «شريكا» ضرورياً و«خصماً» له في الوقت ذاته، قائلاً: «ربّما أبطأنا في استيعاب هذا التطوّر». ولدى سؤاله عن تصريح الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، الذي تحدّث فيه عن «الموت الدماغي» لـ«حلف شمال الأطلسي»، أوضح لودريان أنه خلال ولاية الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامب، سرى «نوع من الشكّ المتبادل حول صلابة الروابط وثبات الالتزامات»، لكن وصول جو بايدن إلى البيت الأبيض «بدّل المعطيات»، حتى أن قمّة بروكسل، الشهر الماضي، جاءت لـ«تنعش التحالف عبر ضفّتَي الأطلسي»، على حدّ وصفه. لا تحيد تصريحات الوزير الفرنسي عن تلك التي أدلى بها ماكرون في قمّة «الأطلسي» الأخيرة حين سارع إلى التعليق على البيان الختامي - أدرجت فيه الصين باعتبارها باتت «تشكّل خطراً أمنياً... وتحدّياً للنظام الدولي»، بما يتماشى مع النهج الذي يتبعه البيت الأبيض - بالقول إنه «ليس للصين علاقة تُذكر بالحلف؛ لذا، من المهمّ ألّا ننحاز في علاقاتنا».

شبح ترامب

اختار الرئيس الأميركي أوروبا لتكون وجهته الخارجية الأولى، في محاولة منه لرأب الصدع في العلاقات التي تدهورت في عهد الإدارة السابقة. لكن جُلّ اهتمام بايدن بدا منصبّاً على فكرة تشكيل جبهة موحّدة تجمع الحلفاء الغربيين في مواجهة الصين، كونها تمثّل «تهديداً» للأمن القومي الأميركي. استعجال الرئيس الأميركي لترميم ما «هُشّم» إبان ولاية ترامب، يجيء في ظلّ «تخوّف» الأوروبيين، وخصوصاً منهم الألمان، من «شبح ترامب الذي لا يزال يلوح في الأفق عبر الأطلسي»، وفق ما يرى مايكل هيرش، في مقالة لمجلة «فورين بوليسي» الأميركية. ويقول الكاتب إن الأوروبيين الذين «صدمهم ترامب، باتوا يولون اهتماماً أكبر لمشاكل واشنطن الداخلية، أكثر من اهتمامهم بقضايا الأطلسي التقليدية». وفي مقالته التي نُشرت عشية اللقاء الذي جمع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل بالرئيس الأميركي، الأسبوع الماضي، نقل هيرش عن تشارلز كوبشان، المتخصّص في العلاقات عبر الأطلسي في جامعة «جورج تاون»، تساؤله: «إلى متى ستستمرّ هذه الصداقة الجديدة؟ ومَن سياتي بعد بايدن؟»، قبل أن يضيف أن الأهمّ من ذلك هو «كيف سيبدو التحالف الأميركي - الأوروبي في حقبة ما بعد ميركل» التي تغادر منصبها بداية الخريف. وعلى رغم عشم أوروبا بعودة «الحياة الطبيعية» إلى علاقاتها مع الولايات المتحدة، يتساءل الكاتب عمّا «إذا كان 74 مليون شخص ممّن صوتوا لمصلحة ترامب (في الانتخابات الرئاسية الأخيرة) سيُوافقون على ذلك؟»، خصوصاً في ظلّ هيمنة هذا الأخير على الجناح الأكثر تطرُّفاً في الحزب الجمهوري. ويلفت هيرش إلى أنه «يصعب على الأوروبيين تجاهل حقيقة أن عداء بايدن للصين هو امتداد لرؤية ترامب»، مع إشارته إلى النهج التي تبنّته ميركل، بعدما عملت جاهدة على تطوير علاقات أفضل مع بكين، ودفعها الدول الأعضاء في الاتحاد إلى الموافقة على توقيع «اتفاقية الاستثمار» (CIA) مع البلد الآسيوي، والذي تساوق مع إعلان فوز بايدن بالرئاسة.

على هذه الخلفية، يرى الكاتب أن المستشارة الألمانية ذهبت إلى واشنطن حاملةً رسالتين: الأولى مفادها أن أوروبا «لا تريد حرباً باردة جديدة»؛ والثانية أن الاتحاد «يريد الفصل... إذا أراد الأميركيون أن يسلكوا طريقاً عدائياً حيال الصين، فنحن لن نسلكها». هذا الموقف يعود، بالدرجة الأولى، إلى أن الصين باتت تحتلّ مركز الشريك التجاري الأوّل لألمانيا ومن ثم بروكسل، على مدى السنوات الخمس الماضية، وأن «أوروبا ميركل» لا تريد الوقوع في قلب الصراع القائم بين بكين وواشنطن، نظراً إلى المصالح التي تجمعها بالطرفين. بل على العكس، يسعى الأوروبيون إلى إنشاء علاقات متوازنة مع هاتين القوّتين، وهو الأمر الذي أدركه الأميركيون، وفق الباحثة في مركز «الأمن الأميركي الجديد»، راشيل ريزو، التي تقول إن «أميركا بدأت بالتصالح أخيراً مع هذا الواقع»، مشيرة إلى أن «إدارة بايدن أوضحت أنها لا تطلب من ألمانيا (أو أوروبا) اختيار أحد الجانبين».

«أوروبا بلا رؤية»

ليس خافياً غياب استراتيجية أوروبية واضحة تجاه الصين؛ إذ جاءت جولة بايدن الأخيرة لتجلّي عُمق انقسام دول الاتحاد، وفقدانها لرؤية سياسية موحّدة حيال بكين.

> **جاءت جولة بايدن الأخيرة لتجلّي عُمق انقسام دول الاتحاد، وفقدانها لرؤية سياسية موحّدة حيال بكين**

لكن أوروبا غير الراضية عن عدم مواجهة الصين، كانت قد عمدت قبل سنتَين، إلى وضع استراتيجية جديدة للتعامل مع بكين بوصفها «المنافس للنظام (الليبرالي)»، كما استخدمت عبارة «شريك محتمل ومنافس»، لدى إشارتها إلى الصين في وثيقة السياسية التأسيسية لعام 2019، في صيغة تختلف تمام الاختلاف عن تلك المستخدمة في واشنطن: «المنافس الاستراتيجي». فالتكتّل كان يأمل فصل الخلافات السياسية عن الروابط الاقتصادية مع الصين، لكن الولايات المتحدة تبدو متجهة إلى منافسة تنتهي غالباً إلى صراع، وهو ما لا يتناسب مع التوجّهات الأوروبية. وعلى رغم أن الجهود التي يبذلها الاتحاد الأوروبي في صياغة سياسة جديدة تجاه الصين، تتناقض مع نهج بايدن الرامي إلى إحياء «الاستراتيجية الكلاسيكية» في مواجهة العملاق الآسيوي، لا يمكن التغاضي عن واقع أن بروكسل أظهرت موقفاً أكثر تشدداً حيال بكين في الفترة ما بعد توقيع «اتفاقية الاستثمار»، فعمدت، في الأشهر الماضية، إلى فرض عقوبات على مسؤولين صينيين بسبب ضلوعهم في «انتهاكات حقوق الإنسان» في إقليم شينجيانغ. وفي أيار الماضي، أعلن الاتحاد الأوروبي وضع خطّة لخفض الاعتماد على صادرات بعض الدول، ومن بينها الصين. وفي الشهر ذاته، جُمّدت أيضاً آلية التصديق على «اتفاقية الاستثمار» بسبب معارضة البرلمان الأوروبي لتفعيلها، على اعتبار أنها تعزّز الاستثمارات الصينية في القارّة.

وسط هذه الضبابية، تبدو أوروبا عالقة في مأزق بين القوّتين من جهة، وبين فقدانها لاستراتيجية واضحة تجاه بكين من جهة ثانية. وللخروج منه، تحدّثت وسائل إعلام ألمانية عن ضرورة صعود الاتحاد كقطب ثالث في وجه القطبَين الصيني والأميركي، وهو ما يُرتّب على دوله الذهاب نحو مزيد من الاستقلالية. واعتمدت وسائل الإعلام في تحليلها هذا على دراسة لمؤسسة «بروغنوز» السويسرية للبحوث والاستشارات، والتي دقّ فيها الباحثون ناقوس الخطر من المدّ الصيني الذي يُنذر بـ«فقدان الهيمنة الاقتصادية الأميركية والغربية على العالم بحلول عام 2040». هذه التحوّلات، تحتّم على بروكسل اختيار أحد المعسكرَين. فإذا ما قرّرت الانحياز إلى بكين على حساب علاقتها مع واشنطن، فإن ذلك سيقلّص صادراتها بنسبة 22%؛ أما إذا اختارت التكتّل مع الأخيرة، ستتراجع صادراتها بنسبة 18%. لهذا، يبدو خيار صعود أوروبا كقطب ثالث أكثر منطقية، كونه سيضمن الازدهار والاستقرار لجميع دولها، فضلاً عن كونه سيؤدّي إلى علاقات أوروبية - دولية أكثر توازناً في المستقبل، خصوصاً مع روسيا والدول النامية. لكن وجهة النظر هذه تبقى رهناً بسيناريو صعود القوّة الأوروبية، الذي لا توجد أيّ مؤشرات على تحقّقه في المدى المنظور.

ليس واضحاً شكل التحالف الأميركي - الأوروبي في حقبة ما بعد ميركل التي تغادر منصبها بداية الخريف (أ ف ب)

سوريا

لم تكن الاستجابة الحكومية للأزمة الصحية بحجم مخاطر الوباء على حياة السوريين؛ فالجهات الرسمية قرّرت باكراً تغليب المصلحة الاقتصادية على تلك الصحية، في ضوء الظروف المعيشية القاسية التي تعيشها سوريا، من جرّاء الحرب والحصار الاقتصادي المفروضَين عليها، على الجهة المقابلة، لم تكن استجابة المواطنين أنفسهم، اشفى حالاً، إذ أبدت غالبيتهم استهتاراً وإهمالاً وصل أحياناً إلى حدّ إنكار أصل وجود الوباء. ومع تجاوز البلاد مرحلةَ ذروة تفشّي الفيروس، وبدء توفّر اللقاحات المختلفة للراغبين في تلقّيها، لم يُسجَّل إقبال شعبي حقيقي على التلقيح، وهو ما تؤكده الأعداد المتدنية للملقّحين في عموم البلاد، فيما تتمدّد الشائعات كالنار في الهشيم حول «المخاطر» المفترضة للقاحات، وإمكانية تسبُّب بعضها بالوفاة، ما دفع الكثيرين إلى الإحجام عن تلقّيها، وخصوصاً منها «استرازينيكا» البريطاني، بينما تلوذ الحكومة بالصمت حيال ادّعاءات تسجيل وفيات بعد التلقيح

«كورونا» خارج جدول الأعمال: إهمال وإنكار وغياب شفافية

سرعات ما استسلمت الحكومة للمفاضلة بين العجلة الاقتصادية والإجراءات الاحترازية (أ ف ب)

بلال سليطين

لم تتعدَّ مدّة التزام الإجراءات الاحترازية من فيروس «كورونا» في سوريا شهرَي آذار ونيسان 2020، ليتلاشى بعدها التباعد الاجتماعي والكمامات وقيود الحركة، لكنّ منحنى الإصابات المسجّلة رسمياً بقي في حدوده الدنيا، مقارنةً مع دول الجوار والعالم، إذ لم يتجاوز، في أسوأ الحالات، الـ 170 إصابة يومياً.

الأرقام تجافي الواقع

في 22 آذار 2020، أعلنت الحكومة السورية تسجيل أوّل إصابة بالفيروس في البلاد، لقاحّة قادمة من أوروبا، بينما سبق ذلك إعلان السلطات الصحية في باكستان تسجيل 7 إصابات بالفيروس لأشخاص قادمين من سوريا، فيما أعلن العراق عن مصابَيْن اثنَين جاءا أيضاً من سوريا، ليتأكد، منذ ذلك الحين، أن التشخيص الرسمي لا يعكس نسبة الإصابات في البلاد. ويقول عضو الفريق الاستشاري الحكومي لفيروس «كورونا»، الدكتور نبوغ العوا، لـ«الأخبار»، إن «عدد الحالات غير المسجّلة، يفوق بأضعاف تلك التي تم تشخيصها رسمياً».

لكن الحكومة التي أخذت احتياطاتها في الموجة الأولى، سرعان ما استسلمت للمفاضلة بين العجلة الاقتصادية والإجراءات الاحترازية، وأعادت فتح البلاد، بسبب عجزها عن تحمّل خسائر الإغلاق، وتعويض الذين تعطّلت أعمالهم. فهي لم تفرض أصلاً إجراءات احترازية صارمة حتى في دوائرها، إذ يقول العوا إن «الاستجابة المجتمعية لدعوات الفريق المعني بكورونا للالتزام قوبلت باستهتار شديد»، والسيناريو ذاته يكاد ينطبق على مختلف مناطق سوريا، حيث سُجّلت في شمال شرق البلاد نحو 18540 إصابة، وفي شمال غربها 25913 إصابة (سجّلتها الجهات الصحية غير الحكومية)، في ظلّ وجود اختلافات نسبية في الإجراءات بينها وبين مناطق سيطرة الحكومة التي سجّلت 25735 إصابة حتى 8 تموز الجاري.

> **تعكس الأعداد المتدنّية للملقّحين عدم اهتمام السوريين بخطر الفيروس**

تدخّل القدر!

تمتلك سوريا حوالى 1000 سرير مخصّص لمصابي «كورونا»، بحسب ما أعلنت وزارة الصحة في آذار 2020، أضيف إليها، في آب الماضي، نحو 400 جهاز تنفّس اصطناعي لاستيعاب الزيادة في نسبة الإصابات. إلّا أن الأسرّة وأجهزة التنفّس، لم تُشغَّل جميعها بشكل متزامن حتى في أسوأ حالات تصاعد الإصابات، وفق بيانات وزارة الصحة. وفي الوقت ذاته، كانت أعداد الوفيات في سوريا تسجّل معدّلات متدنّية مقارنة مع دول أخرى، حيث يقول مصدر في دائرة الوفيات في دمشق، لـ«الأخبار»، إن «أعداد الوفيات بلغت 55 حالة وفاة يومياً في أوقات ذروة انتشار الفيروس، وكانت تهبط خارجها إلى ما بين 10 و20». ويصف العوا ما حدث في سوريا بأنه «تدخُّل القدر الذي منع وقوع البلاد في كارثة وبائية. فعلى رغم أعداد الإصابات الكبيرة غير المشخّصة، إلّا أن الوضع بقي تحت السيطرة». وإذ يرفض الجزم بأن سوريا وصلت إلى مرحلة «المناعة»، لكنه يلفت إلى أن «منحنى الانتشار حالياً مسطّح، وأعداد الإصابات في انخفاض مستمرّ».

الاستعانة برجال الدين للترويج للقاحات

خلال ذروة انتشار الفيروس، لم يبدِ الناس اكتراثاً بالأزمة الوبائية، حتى إن بعضهم لم يعترف بأصل وجود المرض، ولدى بدء توفّر اللقاحات، قوبل الأمر بعدم اهتمام تعكسه الأرقام المتدنّية لأعداد الملقَّحين لدى وزارة الصحة، حيث سُجّل، خلال 21 يوماً، تلقيح 520 شخصاً فقط في مدينة بانياس الساحلية التي يصل عدد سكانها إلى 200 ألف، وفي درعا جنوب سوريا لم يتجاوز العدد، حتى 17 حزيران، 2044 ملقّحاً بمن فيهم ذلك الكوادر الطبية. هذا الإقبال الضعيف، دفع بعض مراكز التلقيح إلى إتاحة اللقاح مباشرةً للراغبين دون الحاجة إلى التسجيل عبر المنصة المخصصة له، بينما استعانت مديرية الصحة في دير الزور برجال الدين لتشجيع المواطنين على التلقيح، فيما أوقفت محافظة درعا استخدام لقاح «أسترازينيكا» لتبديد مخاوف المواطنين.

وتقول ملك (31 سنة)، والتي تقيم في دمشق، إنها لا تهتم بتلقّي اللقاح، كونها لم تشعر بالخوف من كورونا، ولم تعانِ من الإغلاق ولا التباعد، ولا الآثار السلبية للفيروس، وبالتالي «لا حاجة لتلقّي اللقاح» الذي «لن يغيّر شيئاً في حياتي ولن يريحني من أعباء لا أعاني منها أصلاً». ويعزو العوا عدم الإقبال على التلقيح إلى «الخوف الذي ولّدته الشائعات التي تنتقل كالنار في الهشيم عبر مصادر وفيديوات تفتقر إلى أدنى مصداقية»، مشيراً إلى أنه «يدعم التلقيح، ويثق علمياً بأن جميع اللقاحات تحقّق المناعة، بما في ذلك أسترازينيكا الذي يُنصح بالالتزام بقواعد وزارة الصحة في تلقّيه»، مؤكداً أن «اللقاحات متوفّرة بكثرة في البلاد ومستمرة في الوصول إليها».

مصر

ارتفاع جديد في أسعار المحروقات: نحو الرفع الكامل للدعم

أصبح سعر البنزين الأعلى على الإطلاق في تاريخ مصر (أ ف ب)

القاهرة - الأخبار

على رغم إقرار الصياغة القانونية لآلية التسعير التلقائي للمنتجات البترولية قبل نحو عامين تقريباً، والتي تقضي بمراجعة أسعار النفط بشكل دوري وتحديد سعر بيعها للجمهور بناءً على هذه الآلية، إلّا أن الحكومة المصرية تتعامل مع المسألة بصورة انتقائية. وتحت ذريعة الاضطرابات والتذبذب الشديد في أسعار النفط العالمية، أقرّت الحكومة، يوم أمس، زيادةَ أسعار البنزين بواقع 0,25 قرشاً لليتر الواحد، مع الإبقاء على أسعار بقية المحروقات ثابتة، لا سيما المازوت والسولار الأكثر استخداماً. وشرحت اللجنة الحكومية المسؤولة عن التسعير قرار الزيادة وطريقة تحديدها، مستندةً إلى ارتفاع أسعار خام القياس العالمي «برنت» بنسبة 12 في المئة مع ثبات سعر الصرف. وعبر تطبيق المعادلة السعرية بتحديد نسبة الزيادة بحدّ أقصى يبلغ 10 في المئة، جاء القرار الذي سيتمّ التأكيد على تطبيقه بشكل فوري مع مراقبة الأسواق للتأكّد من عدم وجود زيادة في الأسعار نتيجة الزيادة الجديدة التي تقول الحكومة إنها لا تطال غالبية القطاعات.

لكن بيانات الحكومة المغلوطة تجنّبت الإشارة إلى أن آلية رفع سعر البنزين ليصبح الأعلى على الإطلاق، تجاهلت أموراً عدة من بينها أنها الزيادة الثانية في غضون أربعة أشهر، جاءت بعد أكثر من عام على انخفاض أسعار البترول عالمياً بأكثر من 50 في المئة ورفْض الحكومة، في حينه، خفْض الأسعار بما يتماشى مع اللوائح العالمية، مفضّلةً إحالة الفائض من أرباح بيع المحروقات لدعم إجراءات مواجهة «كورونا».

قرار الزيادة الذي يأتي في إطار استمرار تنفيذ خطة الرفع الكامل للدعم، ستكون له انعكاسات ممتدّة خلال الأسابيع المقبلة. فعلى رغم تأكيد الحكومة عدم السماح بارتفاع أسعار النقل ووسائل المواصلات، إلّا أنه جرى تعديل أسعار خدمات «أوبر» و«كريم» بشكل فوري في ظلّ تكبُّد السائقين المزيد من التكلفة.

وتربط الحكومة زيادات أسعار وسائل النقل بزيادة سعر البنزين فقط، متغاضية عن فرض ضرائب على العديد من الخدمات الأخرى، بخاصة في ظلّ عمليات التهرُّب الضريبي والضرائب المرتفعة على استيراد قطع غيار السيارات وغيرها من الرسوم التي أثقلت كاهل أصحاب السيارات، على رغم تدنّي دخولهم وإجبارهم على الالتزام بالتعريفات المحدّدة، في الوقت الذي فشلت فيه الحكومة بأن تُبقي الزيادات على أسعار تذاكر الباصات العامة عند معدلات زيادة أسعار الوقود. وفي مقابل حصولها على أموال المواطنين خلال «كورونا» لدعم الاقتصاد، لم تتحمّل الحكومة دعمَ المصريين وسط زيادة أسعار المحروقات عالمياً، ضمن التزامها الصارم بتنفيذ شروط «صندوق النقد الدولي» الذي أصدر بياناً قبل ساعات من إعلان قرار الزيادة، تحدّث فيه عن نجاح الحكومة المصرية في المحافظة على استمرار الإصلاحات الهيكلية للاقتصاد خلال الأزمة الوبائية، معتبراً أن أولوية الحكومة - في المدى المتوسط - ليس تحقيق نمو مرتفع فحسب، بل نمواً شاملاً يضمن خلق فرص العمل وضمان مستويات معيشية لائقة للشباب، وهو المسار الذي لا تعيره الدولة اهتماماً في ظلّ وقف التعيينات الحكومية وتدني الرواتب في القطاع الخاص.

> **جرى تعديل أسعار خدمات «أوبر» و«كريم» بشكل فوري في ظل تكبُّد السائقين المزيد من التكلفة**

وفيات

انتقلت إلى رحمته تعالى
الأمّ والمربّية الفاضلة الحاجّة
ميرا موسى حجيج حرب
زوجة المرحوم الحاجّ سعيد محمد حرب
والدتها المرحومة الحاجّة زينب عصفور
أبناؤها: محمد وعائلته، المرحوم العميد علي حرب وعائلته، حسن وعائلته، العقيد المتقاعد عدنان حرب وعائلته، العميد المتقاعد فضل الله وعائلته، المحامية خديجة حرب زوجة المحامي عامر عمار، الدكتور صافي حرب وعائلته، زينب زوجة طالب درويش، إيمان وموفق حرب وعائلته
تُوارى الثرى في روضة الشهيدين اليوم الموافق 24/07/2021
نظراً للظروف الراهنة سوف يُعلن عن العزاء في موعد لاحق
للاتصال: 03851516، 03444412، 70142444
الآسفون: آل حرب، حجيج، عمّار، عصفور، الزين، درويش وحمود

ذكرى

في مرور عشرين عاماً على وفاة المرحوم
السيد جعفر شرف الدين
يتذكّره عارفوه وأهله ومحبّوه بتلاوة السورة المباركة الفاتحة عن روحه الطاهرة.

إعلانات رسمية

إعلان
تعلن بلدية الهرمل عن حاجتها للقيام بأعمال للصالح العام وبصورة العجلة على العقار رقم 2603 من منطقة الهرمل العقارية لمالكه كميل نديم مراد المجهول مكان الإقامة والعنوان لذلك يطلب من صاحب العلاقة مراجعة البلدية خلال الدوام الرسمي أو الاتصال على الأرقام التالية: 08/200004 أو خليوي 03/682432.
علماً بأن الأعمال المطلوبة لا تقتطع من مساحة الأرض ولا تغير بمعالمها أو تنتقص من قيمتها.
الهرمل في 2021/7/5
رئيس بلدية الهرمل
صبحي صقر

إعلان إعادة
تعيد مصلحة الأبحاث العلمية الزراعية إجراء مناقصة عامة وبواسطة الظرف المختوم لتلزيم تقديم وتركيب قطعة غيار لجهاز LCMSMS ماركة AGILENT لزوم مختبر الترسبات الكيميائية والمضادات الحيوية في محطة الفنار.
المكان: محطة تل العمارة الزراعية - رياق - البقاع
الزمان: الساعة الثانية عشر ظهراً من يوم الثلاثاء الواقع بتاريخ 2021/7/27.
فعلى من يهمّه الأمر الحصول على دفتر الشروط الخاص المودع نسخاً عنه في محطة تل العمارة - رياق - البقاع - لدى قسم المناقصات وفي محطة الفنار - جديدة المتن لدى السيد غي قاروط ضمن أوقات الدوام الرسمي علماً بأن ثمن كل نسخة عن دفتر الشروط هو خمسون ألف ليرة لبنانية.
ترسل العروض مباشرة باليد إلى إدارة مصلحة الأبحاث العلمية في محطة تل العمارة - رياق - البقاع خلال الدوام الرسمي على أن تصل العروض قبل الساعة الثالثة عشر من آخر يوم عمل بسبق تاريخ إجراء هذه المناقصة وتهمل العروض التي تصل بعد هذا الموعد.
تل العمارة في 13 JUL 2021
رئيس مجلس الإدارة - المدير العام
ميشال انطوان افرام

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكوره
طلب اسكندر خليل الخوري بالوكاله عن نعيم عبدالله الدرزي سندات بدل ضائع للعقارات 4381 و4037 و4205 اميون.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار al-akhbar
هاتف 01-759500
واتساب 71-513571
فاكس 01-759597

الأخبار
al-akhbar
السبت 24 تموز 2021 العدد 4396

«مهرجان لبنان المسرحي الدولي» في صور لنرقص من أجل التغيير

خليل الحاج علي

تأتي الدورة الثانية من «مهرجان لبنان المسرحي الدولي للرقص المعاصر» في صور (جنوب لبنان)، هذا العام، لتعميق دور «فن الجسد» واشتباكه مع الفضاء العام، وتجديد الوعي المجتمعي والفكري، حول هذا الفن. رحلة طويلة خاضها المدير العام للمهرجان ومدير «جمعية تيرو للفنون» و«مسرح إسطنبولي»، قاسم اسطنبولي، لتغيير النمطية الفكرية المتجذّرة حول الرقص وأنواعه. الدورة التي تنطلق اليوم وتستمرّ لغاية بعد غدٍ الاثنين، تأتي استكمالاً لرحلة التغيير التي بدأ العمل عليها سابقاً، حتى صارت أرضية الجنوب جاهزة لاستقبال الفنون على أنواعها، وتلقّفها من قبل الجمهور.

عن الحدث الذي يتّخذ من «نرقص من أجل التغيير» شعاراً له وتنقسم فعالياته بين الحضورية والافتراضية، يقول اسطنبولي لنا: «نحن لسنا بوقاً». لا يغمز من قناة أي جهة، بل يحافظ على إقامة الفعاليات في المسرح المجاني، بجهود شباب مدينة صور والجوار، الآتين من خلفيات عدّة. أصالة غير عادية يضج بها هذا المسرح، مذكّراً بروحية المسارح القومية في الدول العربية التي تعمل من أجل رفع شأن الفنون المسرحية من دون مقابل. فالهدف هو «إدخال الفنون المعاصرة وتوسيع رقعتها الجغرافية، ما قد يمهّد لتغيير فكري أعمق».

يتعدّى «مهرجان لبنان المسرحي الدولي للرقص المعاصر»، الحدود المكانية لإقامة العروض، من خلال استقبال الراقصين من دول عدة، وبجعل الحدث ملتقى فنياً على مستوى الوطن. في زمن التباعد الاجتماعي، يعيد المهرجان الملتزم بقدرة استيعابية بنسبة 30 في المئة، ترسيخ مفاهيم الانفتاح والتواصل مع الفنانين والراقصين من الدول الأخرى. إذ يشارك في العروض الافتراضية التي ستُنقل على منصة «زوم»، راقصون من 20 دولة، منها: تايوان، إسبانيا، إيطاليا، الولايات المتحدة الأميركية، الصين، السنغال، الهند، كندا وغيرها. إلى جانب أسماء من لبنان، هي: «فرقة مدرسة مايا للفنون»، «فرقة الكوفية للتراث الفلسطيني» وإنجي إسطنبولي، فضلاً عن تكريم الراقص المصري الراحل حسام عبد الحميد توفيق، ونورا بكرا من «فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية».

تستحضر بعض العروض المشاركة الإيقاعات الموسيقية لبعض الشعوب والدول، فيما يسأل بعضها عن قيمة الإحساس بالفضاء

تقدّم مصممة الرقص اليونانية مارغريتا تريكا عرضاً يحمل اسمها

العام، وقيمته في أمكنة ذات خصوصية تامة. تبيّن بعض العروض مفردات حركية يومية، يقوم بها الإنسان، وتعكس مدى الروتين الذي يعيشه المرء. كل هذه المفاهيم الحديثة تأتي في سياق عروض تتّخذ من التعبير الجسماني والرقص المعاصر قالباً لها.

على البرنامج أكثر من عشرين عرضاً راقصاً، أبرزها: «الجنس والحب». إنّه عرض معاصر، يقوم ببنائه وتطويره حالياً الراقص التيواني جيانغ بينغ. يهدف العمل إلى مساعدة الناس على إعادة التفكير في الجنس، واستنباط الطاقة الجنسية وارتباطها بالاهتمام الحسّي. يرى بينغ الإيروتيكية كمصدر للتواصل، ويسعى لتفكيك الفكرة الضيقة للجنس وذخيرته والأجسام المقننة، باعتبار الجنس أفعل حوار، وطريقة للعيش والتجربة.

أما «متعذر تعليله» للراقصة اليونانية آنا أكابالي، فهو رحلة شخصية على طرق الأبوة المتعرجة. لا يتعيّن على المشاهد مواجهة الصور النمطية فحسب، بل مواجهة نفسه أيضاً، عبر الدخول في الأدوار التي يتوقّعها المجتمع منا، والطقوس اليومية، والعادات المجتمعية.

يستحضر الراقص الهندي هارشال فياس في «رافانا في عشرة أذهان» موسيقى الشعوب الهندية في قالب حديث. يستكشف الأداء الأفكارَ حول الإله رافانا، في سياق مسرحي سردي، كتابي وموسيقي. ويرمي إلى إظهار العقول العشرة لأحد آلهة الهند، وإسقاطها على الواقع الإنساني. يبدأ العرض بقرع الطبول بصوت عالٍ، يجذب الجمهور إلى المسرح. ثم يظهر المؤدّي ويبدأ قصته وهو يحكي عن رافانا، من خلال حركات الجسم، جنباً إلى جنب مع السرد الموسيقي. يسرّع فياس أداءه من خلال تمثيل المشاعر العشرة المختلفة من خلال الرقص، ليترك في النهاية الجمهور أمام نقطة تأمّل حول ما كان يدركه قبل الفعل والسرد، وما تغيّر في أفكارهم بعد قيامه بالأفعال والكلام عن السرديات.

وهناك أيضاً العرض اليوناني الراقص «مارغريتا تريكا». تستخدم المصمّمة التي يحمل العرض اسمها، ثنائيات الضعف والقوة، لخلق ثنائي قتال. يتشارك الراقصان كاندي كارا وكاترينا سبيروبولو الهدف نفسه، المتمثّل بتدمير الآخر. يتورّط الثنائي في معركة دائمة الوجود، ويواجهان كل الأفكار السخيفة والعقيمة. مصيرهما الاتجاه نحو لحظة هزيمتهما، التي تتصدع بمرور الوقت بشكل صاخب، تاركة ندبة على كل إنسان. ثم يأتي الصمت والسكون. يطرح العرض أسئلة على شاكلة: هل النصر للأقوياء؟ وهل التاريخ مكتوب من قبل المنتصر؟

يقول اسطنبولي إنّ نقل الفعاليات عبر تقنية البث المباشر، كسر كل الجدران بين الدول وبات الوصول لأي فنان، من أي دولة «سهلاً»، مشدّداً على اللامركزية الثقافية: «حوالى 35 دورة، من مهرجانات مختلفة، أعادت وضع صور على خارطة الإنتاج الثقافي والفني». واقع يسهم في تعويض غياب الدولة وتقصيرها لناحية نقل الفنون بأنواعها إلى الجميع دون استثناء.

«مهرجان لبنان المسرحي الدولي للرقص المعاصر»: بدءاً من اليوم ولغاية 26 تموز ـ «المسرح الوطني اللبناني المجاني» و«زوم».

رشا شربتجي وضيفة زاهي وهبي

تطلّ المخرجة السورية رشا شربتجي، اليوم السبت، ضمن برنامج «بيت القصيد» الذي يقدّمه الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي على «الميادين» لتتحدث عن آخر أعمالها التلفزيونية وجديدها. تجيب شربتجي على أسئلة مضيفها وتشرح وجهة نظرها في وظيفة الدراما وعلاقتها بالواقع والراهن. يتطرّق الحوار إلى مواصفات النصّ المغري بالنسبة إليها، وسبب بحثها عن النصوص الإشكالية، وأسلوبها كمخرجة وطبيعة علاقتها بالممثلين، مستعيدةً بعض تجاربها بين سوريا، مصر ولبنان. كما يعرّج الحديث على علاقة رشا بوالدها المخرج هشام شربتجي، ورؤيتها لعواصم مثل دمشق، بيروت والقاهرة، فضلاً عن مواضيع أخرى متعلقة براهن الدراما والبيئة الشامية والدراما المشتركة وسواها.

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ س: 21:00 على «الميادين»

«متروفون» يستعيد سامي الصيداوي

في 2 و3 آب (أغسطس) المقبل، يخصّص «متروفون» عرضَيْن لسامي الصيداوي (الصورة) في «مترو المدينة». وفيهما، سيستمتع الجمهور بمختارات من ريبيرتوار الفنان اللبناني الذي يُعتبر من جيل الرواد في تأسيس الأغنية اللبنانية، بصوت سماح بو المنى الذي تعاونه فرقة مؤلفة من: أسامة الخطيب (باص)، أيمن سليمان (إيقاع)، علي الحوت (إيقاع)، رامي زيدان (بزق)، زياد جعفر (كمنجة)، على أن يتولّى هشام جابر مهمّة التقديم.

أما الكورال، فيتألف من ريم مروة وجليانا هدّام. «متروفون» هو استحضار لأرشيف الإذاعة اللبنانية ولأعمال ظُلمت في البث والتسويق، ولجزء من التاريخ الغنائي اللبناني المنسي والمهمل.

الاثنين 2 والثلاثاء 3 آب ـ س: 21:30 ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

قراءات وشهادات «مِنْ قلبْ بيروت»

يتعاون مسرح «غولدن ثريد» مع «مسرح المدينة» و«المفكّرة القانونية» في لبنان لتقديم «مِنْ قلبْ بيروت» في الثالث من آب (أغسطس) المقبل. يأتي الحدث المرتقب (90 د) في إطار إحياء ذكرى مرور عام على انفجار مرفأ بيروت. يبدأ الحدث بقراءة مسجّلة لشهادات مقدمة باللغتَين الإنكليزية والعربية، من قِبَل ممثّلين مقيمين في سان فرانسيسكو وآخرين مقيمين في بيروت. تليها جلسة نقاش حيّة مع المسرحية اللبنانية نضال الأشقر، والمعالجة بالدراما زينة دكّاش، والمحامية غيدا فرنجية، والفنانة تانيا الخوري، والفنان حامد سنّو. على أن تتولّى إدارة جلسة النقاش المديرة الفنية التنفيذية لمسرح «غولدن ثريد»، سحر عسّاف. تقدم هذه القراءة كجزء من برنامج 2021 New Threads، الذي يعود هذا العام بعد انقطاع دام عامين. يتم تقديم القراءات بتنسيق هجين خاص، وهي مجانية ومفتوحة للجمهور، ويمكن الوصول إليها عبر البث المباشر الرقمي مع بعض التذاكر الشخصية المحدودة المتاحة للانضمام مباشرة في Potrero Stage.

«مِنْ قلبْ بيروت»: الثلاثاء 3 آب ـ من س: 21:00 بتوقيت بيروت ـ تطبيق «زوم» وHowlround.

صورة الملصق: ضياء مراد، «زيت على الماء»، 27 آذار 2020

التوسّع الصهيوني والاحتلال المائي

«الاحتلال المائي: المياه في الفكر الصهيوني التوسّعي وتطبيقه»، هو عنوان اللقاء الرقمي الذي تنظّمه «دارة الفنون» في 27 تموز (يوليو) الحالي. في هذا النشاط، تناقش راما سبانخ محورية المياه في الفكر الصهيوني وتأثيره على شكل الاحتلال في حدوده وفضائه الجغرافي، ويرتكز إلى المراسلات التاريخية والمفاوضات التي شكّلت هوية الاحتلال إبان نشأته وصقلت سياساته لاحقاً. يجادل البحث أنه لا يمكن فهم شكل الاحتلال ومناطق نفوذه ومخططات توسّعه من دون ربطها بالمياه؛ مصادرها ووفرتها والهيمنة عليها. علماً بأنّ سبانخ تعمل في الإعداد الصحافي الصوتي والكتابة السياسية الساخرة بخلفية بحثية في الجغرافيا والاقتصاد السياسي لمنطقة المشرق.

الثلاثاء ـ 27 تموز ـ س: 18:00 ـ للاستعلام: صفحة «دارة الفنون» على فايسبوك.

الأخبار
al-akhbar
السبت 24 تموز 2021
العدد 4396 السنة الخامسة عشرة
Samedi 24 Juillet 2021 nº 4396 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

جبور الدويهي
الرواية اللبنانية يلفّها الحداد

محمد ناصر الدين

«إذا كان للقدر عينٌ، رغبتي أن أضع عيني في عينه كما كنّا، نحن أولاد الحارة، نتحدّى بعضنا صغاراً، ومن ترفّ جفناه أولاً، يخسر أولاً». ما بين «الموت بين الأهل نعاس» (1990)، و«سمّ في الهواء» (2021)، فرض الروائي اللبناني الزغرتاوي جبور الدويهي (1949-2021) نفسه مؤرّخاً لتحولات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في لبنان وراوياً لـ«وطن بمنازل كثيرة» بعبارة كمال الصليبي. إذ إن روايات جبور الدويهي من «اعتدال الخريف» (1995) الى «ريا النهر» (1998) و«عين وردة» (2002)، وصولاً إلى روايته الأبرز «مطر حزيران» (2006) وروايات الأخيرة مثل «طبع في بيروت» (2016) و«ملك الهند» (2019)، تزخر بالشخصيات التي تحمل كل تشظّيات الهوية اللبنانية، وانشطاراتها وتمزقاتها وعلاقاتها المعقّدة بالمكونات الأخرى وأحياناً بمكونات البيت الواحد، والعنف الذي ينفلت من عقاله في حوادث مينيمالية. حوادث يترصّدها الدويهي بعين الروائي الحاذق مثل حادثة كنيسة مزيارة عام 1957، ليشرح صاحب «شريد المنازل» ميكانيزمات العنف والتعصب والإلغاء الذي تتشابه فصوله بين العائلات المسيحية في الشمال اللبناني في حينها، وكل فصول «ڤاندِيتا» العنف والثأر في شرق المتوسط، وليتحوّل كرم المحمودية في «ملك الهند» الى رمز أشبه بـ«الوطن ـ المزرعة»، الذي يتنازعه أمراء الحرب وزعماء الطوائف، يعلوه البيت المعطّل في الرواية الذي هو أشبه بالإرث الثقيل للمأزق اللبناني الذي يسيّله جبور الدويهي سرداً وتفاصيل في العادات والتقاليد والمطبخ والأمثال الشعبية والعمارة. هكذا، يضع اللبنانيين في امتحان صعب لهوياتهم الضيقة ومساءلة لقضايا شائكة في الوعي الجمعي ومخيال الجماعات والعائلات الروحية والقبلية، وصولاً الى علاقة المدينة بالأطراف والهجرة والهوية وغيرها من المفاهيم الاجتماعية والسياسية المعقدة التي يفككها ضمن قالب من السرد المشوّق. إذ لا ننسى في إحدى روايات الدويهي البطل المهاجر يتخلص في عنابر المطار من كل مؤونة أمه الجبلية كأن مكونات الهوية «الضيقة» تتشظى وتتلاشى، وليطرح الروائي الذي حصّل دروسه الابتدائية والثانوية في مدينة طرابلس والحائز دكتوراه في الأدب المقارن من «جامعة باريس الثالثة» هويةً أكثر تفتّحاً، وتعدديةً وانفتاحاً على النقد والحوار بين الأفكار والثقافات أكثر ما نراها في الجسر الذي يفتحه على الغرب في «ملك الهند» في لوحة مارك شاغال والتنوير المنطلق من بيروت من مطبعة آل كرم ومنزل آل باز في «طبع في بيروت». ينتمي جبور الدويهي الى جيل الرواية اللبنانية الجديدة، التي انخرط روادها في أواخر ستينيات القرن الماضي في مطحنة الأفكار والأيديولوجيات، وخبروا الحركات الطلابية والحزبية، فعكست كتاباتهم الاجتماع اللبناني في تناقضاته وتفككاته، وبخاصة مع مفصل الحرب وما مثلته من مختبر قاسٍ وعنيف لكل هذه التناقضات. كما انفتحت هذه الكوكبة من الروائيين على مؤثرات الأدب الغربي والقضايا «الساخنة» في العالم العربي، إذ يكتب الدويهي في كتاب تكريمي أعدّته الجامعة الأنطونية عن بداياته: «قرأت بشغف أغاني مالدورور للوتريامون، كما حفظت أشياء كثيرة عن رامبو عن ظهر قلب. ويوم سألت عنه أحد الرهبان المشرفين على تعليمنا، ارتسمت على وجهه علامات الاشمئزاز وقال: «لا بد أنه كان يكتب تحت تأثير المخدرات». وكنا في المدرسة أيضاً على تماس مع إيقاعات المدينة، تظاهراتها العروبية نصرةً لعبد الناصر ولثورة الجزائر وقضية فلسطين. كما تعرفنا على أعيادها، وارتدنا صالات السينما العديدة فيها، وأطللنا منها على البحر».

ترجمت روايات جبور الدويهي إلى الفرنسية والإنكليزية والألمانية والإسبانية والتركية، ووصلت «مطر حزيران» الى اللائحة القصيرة لجائزة «بوكر» للرواية العربية (2008)، وكذلك «شريد المنازل» (2011). كما توّجت رواية «حي الأمريكان» بجائزة سعيد عقل من «جامعة سيدة اللويزة» (2014). ما بين إشكالية الموت المعلّقة، بين غفوة كنعاس بين الأهل، وموت آخر نفثه الهواء سمّاً في انفجار المدينة عند عنابر المرفأ، رحل الروائي الذي كان يبرع في إخراجنا من «منطقة الأمان» في تفكيرنا وسرديّاتنا وقناعتنا. غادر واضعاً عينه في عين القدر، بطريقة أقرب إلى مقطع في روايته الأخيرة: «فجأة تدخل فراشة إلى البيت، تعيده إلى بلدته وإلى طفولته، إلى العمر الذي ينطبع فيه كل شيء، إلى الأمكنة التي حملها معه في تخيّلاته الأدبيّة».

رحيل

أسّس مسار الوعي العربي منذ ثمانينيات القرن المنصرم

محمّد سبيلا... مفكّر الحداثة المغربية وعرّابها

حين نتحدّث عن الفكر الفلسفي في المغرب، لا يُمكن تناسي محمد سبيلا (مواليد الدار البيضاء ـ 1942) الذي انطفأ أخيراً في الرباط بعد معاناة مع فيروس كورونا. كان الراحل أبرز الذين انكبّوا على دراسة مفاهيم وقضايا كالحداثة والتحديث والنزعات الأصولية وحقوق الإنسان والديمقراطية والتقنية وما بعد الحداثة وغيرها من المفاهيم الفكرية، التي طفت على المشهد الفكري العربي، منذ ستينيات القرن العشرين. شهدت هذه المرحلة صراعاً فكرياً وإيديولوجياً بين دعاة فكرٍ سلفيّ، وبين رواد الحداثة المغربيّة أمثال عبد الله العروي، ومحمد عابد الجابري، وعبد الكبير الخطيبي وأسماء أخرى من الأجيال الجديدة، جاءت بعد هذا الجيل المؤسِّس في تاريخ الفكر المغربي مثل محمّد سبيلا، وعبد السلام بنعبد العالي، وسالم يفوت، وكمال عبد اللطيف، وعبد الإله بلقزيز، ومولييم العروسي، ومحمد نور الدين أفاية... انشغل هؤلاء ضمنياً بتشريح مفهوم الحداثة سياسياً واجتماعياً وثقافياً ووفنياً مواجهين أنصار الفكر السلفي خلال سبعينيات القرن العشرين

أشرف الحساني

في مجمل كتاباته الفلسفية، يغوص المُفكّر المغربي محمّد سبيلا (1942-2021) عميقاً في سؤال الحداثة على امتداد نصف قرن من التدريس والتفكير والكتابة والترجمة والبحث الأكاديمي، لكنّ بالطريقة، التي تجعل كُتبه تُشكّل حالة استثنائية على مستوى تفاعله مع عدد من قضايا الاجتماع الإنساني، التي باتت في الآونة الأخيرة، تُقدّم نفسها بوصفها ترسانة مفاهيمية وقضايا مركزية داخل الاجتماع العربي. فرادة محمد سبيلا في كتاباته، تتأتى من كونه سلّط الضوء على مفاهيم منسيّة داخل المختبرات الفلسفية المغربيّة والعربيّة، لكنّها شغلت وما زالت الفكر الفرنسي منذ ثورة الطلاب سنة 1967. فهو إلى جانب ما يُقيم معها من سجال حقيقيّ وتماه كليّ على مستوى النسق، يعمل بطريقته الخاصّة والذكية على فحص مفاهيم: التحرّر، الحداثة، التحديث، الإسلام السياسي، الهويّة، الآخر، التقدّم والتأخّر، على ضوء ما يعتمل داخل تاريخ «الفكر العربي» (البعض لا يقبل هذه التسمية) منذ بواكيره الأولى إبان القرن التاسع عشر، مُحاولاً تشريح هذه المفاهيم، كما نشأت داخل السياق التاريخيّ العربي، من دون أن يقع في فخّ الإسقاط المعرفي الغربي على قضايا وسياقات داخل العالم العربي. هذه الطريقة في تفكيك مكبوت ومنسيّ للثقافة العربيّة، ميّزت كتابات سبيلا داخل مجال البحث الفلسفي في المغرب، وجعلته في طليعة المُفكّرين المُغاربة القلائل، الذين يعملون على إقامة نوع من الموازنة الفكرية، بين الكتابات الفلسفية الغربية وبين الموروث الفلسفي العربي منذ العصر الوسيط إلى اليوم. فمن غير أن أهميّته تكمن بالضبط، في جعل هامش الحداثة ومفاهيمها وقضاياه تغدو مركزاً. هذا الأمر لدى محمّد سبيلا، يتّخذ صبغة دائمة في عدد من أعماله الفكرية، التي أسّست مسار وعي الفكر العربي منذ ثمانينيات القرن المنصرم. ففي الوقت الذي تئن فيه المختبرات الفلسفية المغربيّة من سطوة مفاهيم الديني والدنيوي والفكر والعربي والاستشراق والفلسفة الإسلامية الوسيطيّة، فكّر سبيلا عكس هذا التيار السائد داخل المغرب، بجعل الحداثة مدخلاً أنطولوجياً لتفسير مآزق الاجتماع المغربي، إلى درجة يشعر القارئ أنّه أمام مُفكّر موسوعي يكتب في مواضيع كثيرة تشغل الراهن العربي، لكنّه يظلّ حريصاً على قبعة الأكاديمي وعلى خيط الفلسفة، الذي منه تتبثق الموضوعات والمفاهيم والإشكالات.

> عمل على إقامة نوع من الموازنة الفكرية، بين الكتابات الفلسفية الغربية وبين الموروث الفلسفي العربي منذ العصر الوسيط إلى اليوم

مثقف اصيل

تعرفت إلى المُفكّر محمد سبيلا، في السنة الأولى والأخيرة من دراستي للفلسفة، بعد تخرجي حديثاً من شعبة التاريخ والحضارة. وبسبب معرفتي المسبقة بأعلام الفلسفة الغربية الحديثة منها والمعاصرة وجدتني أنخرط بشكل مُكثّف في دراسة المتون الفلسفية داخل الفكر العربي المعاصر لكل من برهان غليون والطيب تيزيني ومحمد أركون وهشام جعيط وعبد الله العروي ومولييم العروسي وعبد الإله بلقزيز وغيرهم من المفكرين العرب، باستثناء محمّد سبيلا الذي وجدت في درسه الإيبستمولوجي آنذاك بعضاً من الانزعاج الفكري، الذي قادني لاحقاً إلى قراءة دراسات فلسفية مغربيّة ومشرقية أقل تأثيراً على وعيي الثقافي والفكري. فقد كانت في مجملها تتعلّق بماركس وانجلز والنظرية الجماليّة عند هربرت ماركيوز وبيير بورديو وفلسفة الفنّ لدى هيغل وكانط في ما بعد. لكن في لحظة ما، بدا لي أنّ مفهوم الحداثة يُلوّح في سماء الدراسات، التي كُنت مُقبلاً عليها، قراءة ودرساً وفهماً وكتابة. والحقيقة إني قد وجدت في هذه المرحلة المعرفية المبكّرة في كتب محمد سبيلا عوناً كبيراً ومهماز قوياً يشد انتباهي إلى فهم ما يحدث في السياسة والاجتماع العربيين. لاحقاً، ستتوطّد علاقتي بالمتون الفكرية لمحمّد سبيلا، انطلاقاً من كتابيه «النزعات الأصولية والحداثة» و«المغرب في مواجهة الحداثة»، ثم لحظة معرفتي بالكمّ الهائل من البحوث والأستاذة الذين تخرجوا على يده في شعبة الفلسفة في «جامعة محمد الخامس». غير أنّ اللحظة الكبيرة في اقتحامي عوالم محمد سبيلا الفكرية، كانت من خلال مفهوم «الحداثة»، إذْ يستحيل اليوم الحديث عن هذا المفهوم الفلسفي في البلاد العربيّة، بدون محمد سبيلا، كأبرز المفكّرين الذين تصدوا بشكل مركزي للمفهوم. أكثر من ذلك، قام بتشريح الحداثة من زوايا نظر معرفية مُتعدّدة، تبدأ بالتاريخ وتنتهي بالفلسفة. إنّ ما يشدّ حقيقة إلى كتاباته الفكرية، هو عمقها التحليلي وزخمها الأركيولوجي وبساطة لغة وأسلوب، تجعل أيّ قارئ أو طالب أو باحث يُقبل بشراهة على قراءتها والتقرّب منها، إلى درجة أنّها تجعله يشعر بالنفور من دراسات فكرية سابقة قرأها لبعض الجامعيين. ولاحقاً لما أتيحت لي فرصة اللقاء به شخصياً في حلقات وندوات داخل الكلية وخارجها أو في اتصالات هاتفية (في الأشهر الأخيرة من الحجر)، يشعر المرء بحجم الأسى، الذي جعله لسنوات بعيداً عن معرفة محمد سبيلا عن قرب. الصمت والابتسامة والتشجيع وعمق النظر، خصال ذاتية يتميّز بها محمد سبيلا. ولأنه لم يكُن دائم الحضور إلى الكلية كضيف أو مشارك في عدد من ندوات نظّمتها شعبة الفلسفة، يظلّ المرء مشدوهاً لأسابيع طويلة، أمام الفرحة، التي يتركها محمد سبيلا في قلوب القرّاء والطلبة والباحثين والمترجمين والحث والاحترام اللذين يُبادلونه إياه، أوّلاً بسبب تواضعه الكبير وابتسامته الدائمة وعشقه لمن يشعر أنّه يمتلك حسّاً نقدياً قوياً وشغفاً دائماً للبحث والترجمة والكتابة. وثانياً بحكم ما يستفيده الطلبة من كتبه الفكرية، التي أضحت اليوم وسيطاً معرفياً بين الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية وكبار متون الفلسفة الغربية قديمها وحديثها. لم يكُن محمد سبيلا استاذاً يختفي وراء بدلته الرسمية ويتقافز في خُفاء للارتزاق من مختبرات الجامعة وشعبها، بل مُفكّراً كبيراً وصانعاً لصرح فلسفي في المغرب المعاصر، بحيث إنّ كتاباته، ظلّت عابرة لأجيال من كُتّاب وباحثين ومترجمين وأساتذة، تأثّروا بوعي أو بدون وعي بكتابات محمد سبيلا الفلسفية، لأنّها شكّلت منطلقاً معرفياً، سواء تعلّق الأمر بأبحاثهم أو مراجعاتهم أو ترجماتهم، التي يجدون من خلالها محمّد سبيلا، قد سبقهم بسنوات طويلة لاقتراح ترجمات تُعرّب بعض مفاهيم الفلسفة الفرنسيّة المعاصرة.

من الحداثة إلى الحداثة

«مخاضات الحداثة»، «للسياسة بالسياسة»، «الحداثة وما بعد الحداثة»، «حقوق الإنسان والديمقراطية»، «مدارات الحداثة»... بمثل هذه العناوين الفكرية المُتفرّدة تفكيراً وكتابةً ومنهجاً ونسقاً، عمل محمّد سبيلا، على مراكمة متن فلسفي، يكاد في مجمله لا يخرج عن مدارات الحداثة وما بعدها، أو هي بمثابة امتداد للحداثة بتعبير ليوتار. لكن اشتغاله على مفهوم الحداثة بدا مُغايراً للتقاليد الأكاديميّة المغربيّة، التي تُحاول التماهي مع الفكر الفلسفي الغربي والدخول في سجال معه على مستوى الكتابة والنسق على شكل دراسات تدرس المفهوم لدى فيلسوف مُعيّن، فجاءت بعض الكتابات كأنّها منفصلة عن المسار التحديثي العربي، وهي تغوص في هذا التراث الفلسفي الغربي، لأنها غدت مزدوجة في صورتها ومنفردة في خطابها الفلسفي وتعيش انفصاماً حقيقياً، بحيث أنّ أغلب هؤلاء الذين ساجلوا الفكر الغربي وظلّوا يعيشون في سراديبه وظلاله، لم يُقدّموا درساً فلسفياً جديداً، فكتاباتهم عبارة عن شرح لنظريات أو تلخيص لدراسات منشورة مُسبقاً في مجلّات وكتب. وهذا النوع تفاقم داخل البحث الأكاديمي للجامعة المغربيّة وجعل الفلسفة تتحوّل إلى فقه واستظهار للنظريات، عوض تشرّبها ونقدها والاحتفاظ، بما تمنحه من قوّة ناعمة في الحفر داخل الفكر العربي كمُحاولة لـ «تبيئة» المفاهيم الفلسفية والسياقات التاريخيّة والمداخل النظرية، بغية خلق سجال فلسفي مع الآخر، ما جعل البحث الفلسفي الأكاديمي كأنّه يعيش في غيبوبة الماضي. فبدل أنْ ينفتح على موضوعات فلسفية ذات علاقة بحياتنا اليومية مثل: الفنّ والجمال والفضاء العمومي والجسد والصورة، يُسافر الأكاديمي في إشكالات فلسفية، لا ترتبط بالإنسان المعاصر وقلقه وتحوّلاته السياسية والاجتماعية والثقافية. إنّ تجميع النظريات الفلسفية واستظهارها وتوليفها في دراسات مغربيّة، جعل الفلسفة تدور في كوكب مغلق وأفق مُجهض، يجعل من الخطاب الديني سيّد البحث الفلسفي في المغرب، مقابل غرب حقّق حداثة مُبكرة منذ الأزمنة الحديثة وأضحى يتطلّع صوب فكر ما بعد الحداثة، وبين تراث مغربي مُغلقٍ وتقليدي، يُشكّك مفكروه إنْ كان قد دخل حقاً إلى مرحلة الحداثة.

إلاّ أنّ اللافت عند محمّد سبيلا، هو أنّه لم يتخلّ عن الفكر الغربي، لكنّه بشكل ضمني، لم يُعثر فيه طويلاً، بعد تعريب مراجعه الكبرى، بقدر ما حرص على الحفر في تعيين الحداثة داخل البلاد العربيّة وفهم مُنطلقاتها وأسباب تعثّرها وعدم نجاح بعض نماذجها الكبرى (السياسية والفكرية) في التأثير في بنية العقل العربي الحديث (البعض لا يقبل هذه التسمية التي وضعها محمّد عابد الجابري) التي جعلته مُفكّر الحداثة بامتياز، لأنّ تناوله لها بالفحص والدرس والنقد، لم يكُن عرضياً أو حتى برانياً، بل شكّلت لديه أفقاً فلسفياً منه تتبلور الأفكار والموضوعات والأحلام، بل داخلها يكمن عجز العرب وعدم تقدّمهم لأنّه ظلّوا طيلة قرون يولون ظهورهم للحداثة منذ فترة الاستعمار. على هذا الأساس، شغلت الحداثة ناصية كبيرة في المشروع الفكري عند محمّد سبيلا، لأنّه شعر بأنّ المفهوم منذ السبعينيات، لم يأخذ حقّه داخل الدراسات الفكرية والتاريخيّة، التي برزت داخل المغرب، لكونها بقيت مجرّد مبحث فكري عابر داخله، لكنّها اضحت فيها قضية مركزية عند محمّد سبيلا وطلبته (أشهرهم تأليفاً الدكتور محمّد الشيخ) الذين جعلوا المفهوم مُتداولاً بكثرة داخل البحث الفلسفي، وإنْ بقي محصوراً في نماذج الحداثة التقنية والسياسية والاجتماعية في غياب كلّي للحداثة الفنّية ومداراتها البصريّة.

إلى جانب البحث الفلسفي، اشغف محمّد سبيلا طويلاً بسؤال التعريب

أسئلة الترجمة والتاريخ

إلى جانب البحث الفلسفي، انشغل محمّد سبيلا طويلاً بسؤال التعريب، فقد قاده الدرس الفلسفي الجامعي إلى ترجمات عشرات الكتب الفلسفية الكبرى مثل: «التقنية، الحقيقة، الوجود» لهيدغر و«التحليل النفسي وأسسه الفلسفية» لبول لوران آسوّن و«نظام الخطاب» لميشال فوكو و«الفلسفة بين العلم والأيديولوجيا» لألتوسير. هذه الكتب بقدر ما أسهمت في خلخلة واقع الثقافة المغربيّة، ظلّت بشكل آخر كأنّها الأعمدة، التي شُيّد من خلالها محمّد سبيلا مشروعه الفكري، بحيث إنّ ترجماته، لم تعكس سوى اهتماماته الفلسفية بموضوعات فلسفية، كانت تعيش ضرباً من اللامفكّر فيه داخل الفكر المغربي. فالترجمة لديه ليست بذخاً فلسفياً وإنّما حاجة أنطولوجية لفهم تراث الآخر الفلسفي، لا سيما أنّ الفكر المغربي، كان في حاجة ماسّة إلى بعض الفلاسفة كهيدغر والتوسير لتحرير المُخيّلة من ربقة العلاقة المتأزّمة بين الفلسفي والأيديولوجي. فقد فتحت ترجمة التوسير مثلاً مجالاً كبيراً لمساءلة التراث الماركسي وفهم التحوّلات الإبستمولوجية، التي ألمّت بالنصّ الماركسي داخل الفكر العربي، بحيث يعثر الباحث على دراسات تعاملت مع الفلسفة الماركسية، باعتبارها معتقداً لا فلسفة، كما دعا إليها ماركس. هذا الأمر جعل من ترجمة كتاب التوسير، بمثابة فتح داخل الثقافة المغربيّة، لأنّه فتح المجال أمام فكر جديد يُقيم حدوداً وسياجات بين الأيديولوجيا والتفلسف. فالأولى تقف عائقاً ومانعاً في وجه تفسير النصّ الفلسفي، وتجعل دلالاته وتاويلاته مُغايرة تماماً لأصله وماهيته. فالفلسفة ليست أيديولوجيا لدى محمّد سبيلا، بل هي قوّة ناعمة، تبدأ من الداخل وطريق نظر نقدي مختلف، يجعل التفكير يُكسر كل أشكال البديهيات والبقينيات السطحية المُميتة، فتحرير المُخيّلة من أشكال العنف رهين أوّلاً بتحرير الجسد من مختلف أنماط التكلّس الفكري، الذي يحصر الفلسفة في العقل، ويجعل الجسد مجرّد آلة إنتاج الرغبة (دولوز). لقد خلقت ترجمات محمّد سبيلا وعياً نقدياً قوياً داخل ما اصطلح عليه بـ «اليسار الجديد» (ألتوسير) داخل حركة الأحزاب اليسارية في المغرب، فقد تم الانتباه إلى الأساس النظري الماركسي، الذي تم تحريفه لسنوات على أساس أنّه فلسفة ماركسية، ما ساهم في ظهور فصائل أيديولوجية تتحدّث باسم ماركس، بل الأكثر من ذلك، تعمل ضمن مُخطّطاتها السياسية على إقامة نوع من الموازنة الأيديولوجية بين ماركس والحركات الإسلامية وفقاً لما راج سطحياً بـ «الماركسية المعتدلة» بوصفها نمط تفكير، يستند إلى تبيئتها داخل سياق سياسي، يكاد لا يُفارق الأصول، قدمين (الفلسفة والتاريخ)، إذْ لم يجعل من كتاباته مرآة لمختلف أنماط الفلسفة الغربية والاستطراد في تجريدها ولا كإزميل يُعيد به نحت مُدوّنة التراث الفلسفي العربي الإسلامي، لكنه جعل الكتابة الفكرية، تبدأ بالتاريخ وتنتهي بالفلسفة. إنّها تتشابك إبيستمولوجياً في ما بينها وتخلق نظرة مُغايرة وثاقبة إلى مفهوم الحداثة، لا تُحاول اجترار براديغمها ولا تعمل على توليف سياقاتها وجعلها أشبه بحكاية فلسفية تُروى على مسامع الباحثين باسم الفلسفة. ولكنّ محمّد سبيلا، كان على وعي مُسبق بضرورة الاستناد إلى التاريخ كأساس إبيستمولوجي ثابت، لأنّ التفكير الفلسفي وحده، يبدو قاصراً على مقاربة مفاهيم الحداثة والتحديث، إذا هو لم يستعن بالمعرفة التاريخيّة وأقطابها، كما فعل ذلك عبد الله العروي بخصوص مشروعه الفكري. لكنّ الاختلاف مع سبيلا، أنّ الأوّل مُؤرّخ يستعين بالفلسفة. والثاني مُفكّر يستعين بالتاريخ. فهذا التلاقح الإبيستمولوجي مجال بحث سبيلا، ساهم في إغناء كتاباته الفكرية وجعلها أكثر عموماً بالنسبة للباحث التقليدي، الذي يقف تكوينه عند سياج التخصّص، مُتناسياً الثورة المعرفية التي شهدتها العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي جعلت الحدود بين المعرفة التاريخيّة والفلسفية واهية وإجرائية ومُنعدمة، بالنظر إلى شكل المعرفة والحياة التي رافقت ميلاد الإنسان المعاصر. إنّ التاريخ لديه يحضر بوصفه سياقاً أو «ميكانيزم» أو «براديغم»، واحياناً كذريعة لإقامة حفريات في تاريخ التقابل بين الفكر الغربي والنظر العربي، كما هو الشان في كتابه «النزعات الأصولية والحداثة» الذي تجاوز فيه محمّد سبيلا النمط الفلسفي المجرّد، إذْ يغدو في لحظة ما مُؤرّخاً وأنثروبولوجياً يحفر في مُتخيّل الإسلام السياسي والأصولية والحداثة والعنف والتطرّف والهوية العربية كاستثمار للدعاية السياسية.

> اشتغاله على مفهوم الحداثة بدا مُغايراً للتقاليد الأكاديميّة المغربيّة، التي تُحاول التماهي مع الفكر الفلسفي الغربي

إنّ رحيل محمّد سبيلا، فاجعة حقيقية في تاريخ الثقافة المغربيّة، بالنظر إلى مفكّر في حجمه باعتباره عرّاب فكر الحداثة مُفكّكاً تاريخها وشروطها ومواصفاتها وسياقاتها، لكنّه لم يجعل عملية البحث والكتابة تأخذ بُعداً مُجرّداً، يغوص في الأنساق الفلسفية الحديثة والمعاصرة، بل كان لزاماً عليه إقامة نوع من الفكر الأركيولوجي، الذي يحفر في تاريخ الحداثة العربيّة والغربية في آن واحد، كشكل من الطباق الفلسفي الذي يقبل الآخر، لكنّه دون أنْ يُقيم فيه تفكيراً وكتابة وبحثاً ووجوداً. إذْ لم يكُن من الممكن لدى محمّد سبيلا بلورة مشروع فكري، يستند إلى الحداثة والتعريف بها داخل مجالات البحث في تاريخ الثقافة المغربيّة، بمنأى عن مرحلة هامّة من حياته الفكرية المُتمثّلة في الترجمة الفكرية للعديد من الكتب الفلسفية، التي شكّلت خياراتها المعرفية وسيلة من وسائل تجذير الحداثة في الوعي الفلسفي العربي.

يظلّ دوماً بحن إلى ماضيها التليد إبان الدعوة وبعدها.

لكن ما يشدّ الانتباه إلى مشروع محمّد سبيلا الفلسفي، هو أنّه منهجياً من الداخل يمشي على

نصوص

أربعة تمارين في النظر

أحمد الفخراني *

1. تمارين البوذا

تجمّد في مكانك. تنفس. راقب بلا أحكام. تفحّص بلا أمل. اصمت عند الفكرة الأولى. اصمت عند الفكرة الثانية. اقتل الفكرة الثالثة.

هكذا يمكن مراوغة العيش وصد النظرة العمياء، هكذا يمكن إيجاد الله، ثم ادعاء فقدانه، لأنك لن تتحمل الذوبان في الكل، لأنك بهذا تفتح الروح لأصوات وظلال وألوان وروائح، لم تكن لتتخيل حتى أنها هنا، ستظنها أشباحاً تترصدك، توسوس بفكرة واحدة كبيرة: لأنك لن تَتُهم، فسوف تُتَّهم.

سترتبك تحت وهم الثقل الهائل الذي لا يزحف نحوك، بل يهبط كمطرقة، سيتحول تنفسك الهادئ إلى لهاث فزع، ستهرول مشوشاً بالآلام، ستعري كل عابر من كذبته، بغضب كالبراءة، ولأن الإنسان ليس إلا مجموع أوهامه، سيتساقطون كذباب ميت في قبضتك، ستفتحها ببطء مؤلم، لتراقبه بلا أحكام، لتتفحصه بلا أمل، لتطاردك الحقائق صفعة تلو أخرى: أن عين القاضي هي ذاتها عين المجرم، وأن لا سبيل لإثبات جريمة سوى بارتكاب واحدة، أن الطمأنينة قد تأتي من الكذب لا التنفس، من رعاية خوف أبدي يحمينا من الانكشاف والتبدد.

ستودّ لو تصرخ بما بلغت من استنارة، لكنك ستصمت عند الفكرة الأولى، ستصمت عند الفكرة الثانية، ستقتل.

2. بيدين خاويتين

كل توقف هو ركض بلا ساقين. ولا شيء يتوقف عن الركض لأفهمه.

كرأكض بلا ساقين، كنت أتسلّى بمطاردة المجاز، من غرفة إلى شجرة، ومن شجرة إلى غابة، ومن غابة إلى مدينة، ومن مدينة إلى صحراء، وفي الصحراء، أصل إلى سور هائل استنطق صمته المخيف ولا صدى. كل شيء هو عقبة ذاته، تنفيه فتتوالد ألف عقبة تحول بينك وبين أن تراه. ما الذي يمكن حذفه من الأشياء كي تبين، ما الشيء الغائب الذي بإضافته يطفو الضوء؟ أدفع السور غاضباً، كيف يمكن للمرء أن يهزم روحاً من الإسمنت؟ أعود إلى غرفتي، لاهثاً، بجبين جاف، ويدين خاويتين، محروقتين ببساط الشمس.

3. الغموض

يمكن فهم أي فرد عبر إخضاعه لمنظور: الاقتصاد، الرغبة، الإرادة، الطموح، العزاء.

هكذا تولد الرؤية التي تكشف الكثير قبل أن تتحول إلى مدخل لعمى، لا مفر منه إلا بتركيب المنظور.

مثلاً: الرغبة التي أحبطها الاقتصاد، العزاء الذي يدلس على وهن الإرادة، طموح تبدد بلا عزاء، هكذا إلى ما لا نهاية، يتضاعف التركيب، كاقتصاد إجباري للرغبة والإرادة لم يخلف سوى طموح في إيجاد العزاء.

ألف ألف أداة وتعبير، كبنادق مصوبة إلى جبهة فرد يفرّ كغزال شارد داخل غابة من الإنكار، يكافح داخل مداره الخاص للجنون.

ذلك الغافل عن الأعين الثقيلة التي تتفحصه، لو انعكس بعينيه منها لمعة انتصار منتشية أخيراً بالفهم، سينزوي أكثر وأكثر في عزلته، سيتجمد باكياً من فرط الغموض.

4. عكاز الشر

أول ما فرّ مني كان البصر، كنت قد بلغت بالكاد التاسعة من عمري حين خفت بغتة، لم أخبر أحداً، ودخلت في إنكار طويل، حتى لم يعُد بإمكاني كتمان سرّ كهذا كان كفاصل خطير بين حياتين، فعبر انكشافه ساجر على مقايضة بصري بحياتي.

لا أحمل شيئاً ضد ضعاف النظر - فكما ترى - أنا أحدهم، اما عكازات الأعين التي نحملها فوق عظمة أنوفنا طيلة الوقت، فاكل لها كامل كراهيتي واحتقاري، فهي ليست إلا آلة رهيبة، شيطانية، هشاشتها ليست إلا ثغلاً مضغوطاً يدعي البراءة ويخفي الشر. سوطها الأثير الذي تستولي عبره على حيواتنا، هو التحطم، فمن الصعب أن يسير المرء بشيء يكفيه أقل سوء حظ أو أدنى توتر في الحياة، كلعبة تحتاج إلى مجهود بدني أو شجار غير محسوب أو اتصال حميمي مفاجئ وشغوف كي تنشرخ العدسة أو يتفكك الذراع أو تنهار بأكملها، فتعيد صاحبها في أقل من لمح البصر إلى حياة من العُبش والظلال الملونة، حيث كل شيء مخيف وله وجه وحش مترصد يشهر سلاحاً غامضاً.

هكذا تفرض قانونها الأول - تلك الغضوبة العصبية - تتحطم بكامل إرادتها كي تخلف في جوف حامليها لسعة من الرعب تعقب كل فعل، فتجبرهم على أن يحيطوا حياتها - التي يظنونها حيواتهم - بسياج من الحذر والبطء.

دون أن تملك من أمرك شيئاً تختطف وجهك لصالحها، حجتها أنها تمنحك سلامة النظر عبر عينين زجاجتين مثبتتين كحجرين فوق عظمة الأنف، وبنعومة تغرس كُلّابَيها في أذنيك، هكذا تمتص ملامحك، تغيرها، تحوّلك إلى شخص آخر كلية، ما أن تخلعها، حتى تدرك من انطباعات الآخرين أنهم لا يرون إلا وجهاً غريباً، وأنهم غير مستعدّين للتعامل مع وجهك الأصلي، ستستسلم دون أن تدرك أي مكر قد وقعت في حبائله، ستقول واثقاً: النظارة هي هويتي، لا أتخيل وجهي دونها. وببطء مماثل ستسرق روحك، فيصير لزاماً عليك أن تعكس جوهرها المتقلب لا حقيقتك، فتدعي الحكمة أو الجنون، تظهر كمفكر، كدودة كتب، أو كشخص مازوم بشيء ما، أو بالغ البلادة والكسل، أي كنصف مختل، لن تدري أبداً أي منكما قد صار عكاز الآخر.

لقد منحها وجهي حياة تمارس عبرها هوايتها الوحيدة: أن تنظر ثم تحطم ما تراه. هي من تتمتع بسلامة البصر لا أنا، تسليتها هي أن تتابع تلاحق الصور، تهشمها فوق عدستيها الزجاجتين في تلذذ، لذا كانت تحتاج إلى حياة من البطء، كي لا يغرقها طوفان الصور.

لم تترك لي النظارة في مقايضتها الشيطانية، سوى أن أقلب جفني إلى الداخل أملاً أن أرى في العُبش الآف السماوات المختبئة ووعداً كاذباً أن أحتفظ بالسعادة، أي ثمن باهظ، في اليوم الذي حظيت فيه بنظارتي الأولى توقفت عن الرؤية.

* القاهرة/مصر

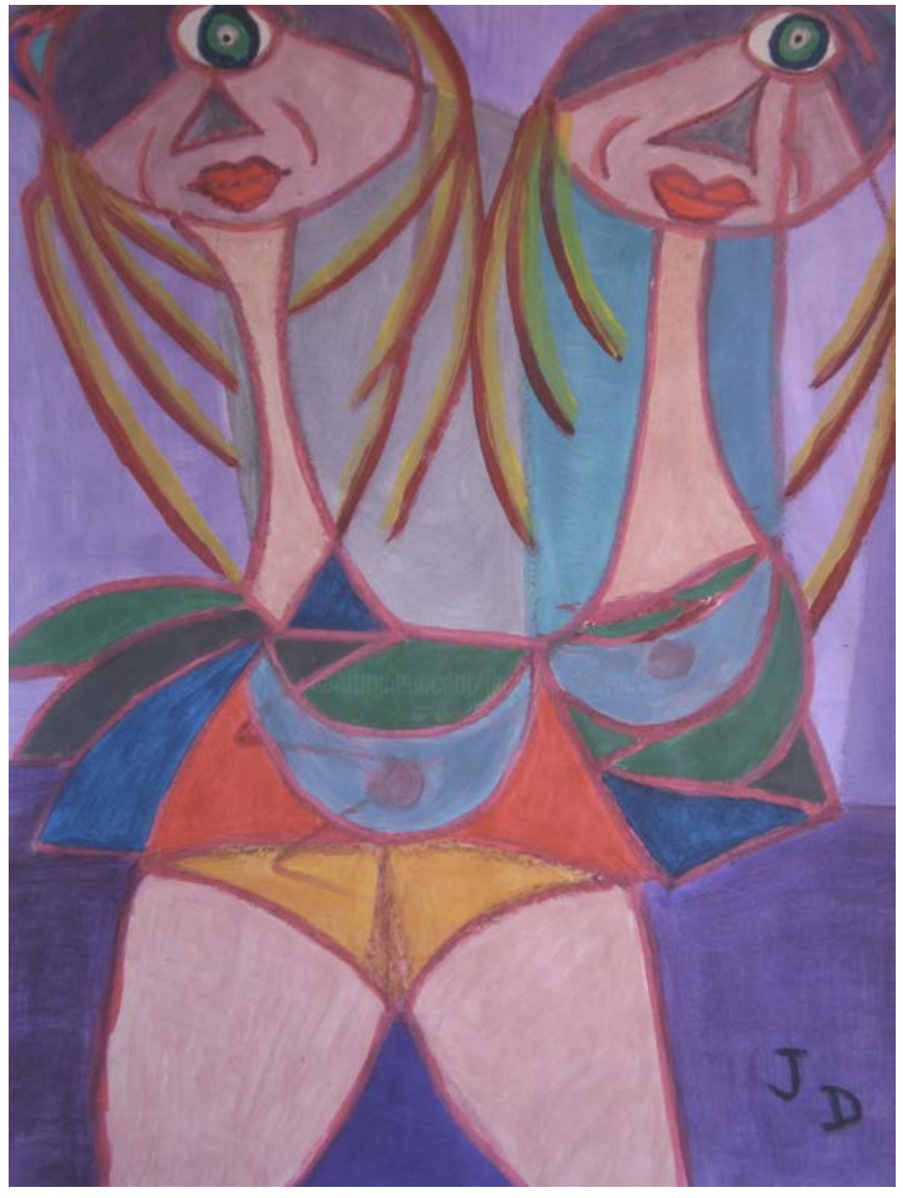

جي دي - «السيكلوبات الشيامنيان» (اكريليك على ورق، 2009).

قصة قصيرة

دفتر الليالي

عبد القادر وساط *

كان متوجهاً إلى مقهى بارامو، القريب من مسكنه، ليشاهد مباراة حاسمة في كرة القدم، بين إنجلترا والأرجنتين. كانت امتحانات الكلية قريبة وهو لم يستعدّ لها بعد بما يكفي، لكنه عاشق للكرة، مثل معظم الطلبة، ولا بدّ من مشاهدة المباراة، رغم ضيق الوقت. ثم إنها فرصة مؤاتية للهروب قليلاً من الدفاتر والكتب والأوراق، ومن كآبة المسكن الصغير الذي يعيش فيه وحده منذ أعوام، في ذلك الحي الشعبي المزدحم.

في طريقه إلى المقهى، سمع صوت امرأة تناديه:

- أمين! أمين!

التفت فرأى سعاد تقترب منه بخطى مسرعة، غير عابئة بالطفل الصغير الذي تمسكه من يده، والذي يتجرجر خلفها، عاجزاً عن مجاراتها في المشي.

ارتمت عليه معانقة وهي تلهث قليلاً. كانت بادية السمنة، ترتدي جلابية حائلة اللون، في نظراتها حزن صامت، وتحت عينيها جيوب مائلة للسواد. بقي ينظر إليها دون كلام. هو لم يرَها منذ أربعة أو خمسة أشهر، لكنها تغيرت كثيراً، كما لو أن أعواماً عديدة مضت على آخر لقاء بينهما.

- كيف حالك يا سي أمين؟

- أنا بخير، وأنت يا سعاد، ما أخبارك؟

- أنا مريضة، فمتى تصبح طبيباً وتعالجني؟

أجابها بعفوية:

- أنا حالياً في السنة السادسة بكلية الطب، سوف أتخرج السنة المقبلة.

علقتْ بصوت خافت:

- الله يكمل عليك.

ثم نظرت إليه نظرة مليئة بالعتاب، وقالت:

- نسيتَني تماماً يا سي أمين، لا بُرَيَّة لا تلفون.

تمعنتْ فيه قليلاً بنوع من الفضول ثم أضافت وهي تبتسم بمرارة:

- على أية حال، أنا مجرد عاهرة، ومن حقك أن تنساني، الرجال لا يتذكرون العاهرات.

كان يتوقع منها كلاماً من هذا القبيل، لذلك تجاهل الأمر وحاول تغيير موضوع الحديث. أشار إلى الطفل الصغير قائلاً:

- ابنك؟

أجابت بعفوية:

- نعم، هو طفلي مراد، إنه في الرابعة من العمر.

مسح بيده على شعر الطفل، فكر في الانحناء عليه لتقبيله ثم عدل عن ذلك. تذكر الأيام التي مضت، والليالي العديدة التي قضتها سعاد برفقته، في سريره المهترئ. صحيح أنها تكبره بسبع أو ثماني سنوات، وأنها ليست جميلة وأنها تحترف الدعارة، لكنها امرأة طيبة وسهلة المعاشرة، كما أنها لا تخلو من دعابة حين تكون رائقة المزاج.

كان الطفل مراد قد ابتعد عنهما قليلاً وبدأ يخبط بقدميه في برك الماء التي تركها مطرُ البارحة. مضت نحوه وسحبته بحركة لا تخلو من غلظة.

أخرج أمين من جيب سرواله ورقة نقدية من فئة عشرين درهماً وناولها للطفل، لكن سعاد اعترضت بحركة من يدها. لاحظ أن نظراتها صارت أكثر حدة وهي تقول له:

- أعطني فقط نقودي.. أجرة الليالي الطويلة التي قضيتُها في سريرك.. إنها لا تزال دَيْناً في عنقك.

سكتت قليلاً، قبل أن تواصل:

- وعدتني مراراً أنك ستُسدد مجموع الدَّين حين تتوصل بالمنحة، لكنك لم تَفعل.

شرع أمين ينطق بكلام غير مفهوم، فقاطعته قائلة:

- إنه غرقُ جبيني، يا سي أمين، لا تنسَ هذا، وإذا نسيتَه فإن الله سوف يعاقبك في الدنيا قبل الأخرة!

تذكر أمين عندئذ ذلك الدفتر الصغير الذي كانت سعاد تسجل فيه حساب الليالي التي تقضيها برفقته، تكتب تاريخ الليلة وتضيف تحته المبلغ المالي المرتقب. كان هو يسمي ذلك الدفتر الأزرق الصغير «دفتر الليالي». أحياناً أخرى، من باب المزاح، كان يسميه «دفتر الفساد».

شرع ينظر إلى ساعته. كانت تشير إلى الخامسة، ولم تبقَ سوى دقائق معدودة على بداية المباراة. قالت له بنبرة لا تخلو من سخرية:

- يبدو أنك مستعجل. وعموماً، فإن لديك تلفوني. اتصل بي حين تتوصل بالمنحة!

ثم سحبتْ طفلها من يده وانطلقت نحو الجهة الأخرى من الشارع.

بقي هو يراقبها وهي تبتعد بجسدها المترهل بينما الطفل البائس يتجرجر خلفها بصعوبة، وعندما اختفت في المنعطف، واصل هو طريقه نحو مقهى بارامو.

* كازابلانكا/المغرب

فليسبان روبنس - «الجميلة والوحش» (زيت على قماش، 1861).

شذرات

هايكو التساؤلات

مريم لحلو *

إلى أين تمضين
أيّتها الرّيح
بسِرْب الغَمام؟
■■■
آهٍ أيُّها الجَدْوَلُ الحَزِينُ
كَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَى هَذَيَانِ الأَحْجَارِ؟
■■■
جندب -
من غنائك
ينضجُ كل هذا العنب؟
■■■
ماذا لَوْ تَواضَعْتِ قليلاً؟
يقول الجذر
للزهرة
■■■
إحساسٌ رهيب
لمَ توقفت الجنادبُ
عن الصرير؟
■■■
آه أيتها الفراشة
لمن كَلَّ
هذه الأناقة؟
■■■
بيتٌ مهجورٌ
لمَنْ تنضجينَ
يا عناقيدَ العِنَبِ؟
■■■
أمِّ الأربعِ والأربعين
إلى أينَ
بكل هذه الأرجل؟
■■■
كيف أصابكِ البلى
يا بدلته
وأنتِ مجرد صورة؟
■■■
فجأةً ينقطعُ المطر
أين كانَ يختبئ
كلّ هذا الصَّخَب؟
■■■
ورقة خريفية
سقطت للتو
أهي لي أم لك؟
■■■
خارجاً ذلك الصباح -
كل زهوري
أجهشت بالندى؟
■■■
صباح بارد
إلى أين
يا أسراب الزقزقة؟
■■■
آه أيتها الريح
كم سرقت لحد الآن
من وشاح؟
■■■
أوراق الخريف
ما تهمتها
ليوقفها حاجز الدرك؟
■■■
حمّام أيتها الشجرة
تظلين تنثرين الذهب
على العابرين؟
■■■
لتتعريّ
من ذا الذي يستطيع لومك على ذلك؟
يا أشجار الشوارع
■■■
ليلة الاكتمال
لِمَ يخفي عني هذا القمر
وجهه الآخر؟
■■■
خريف
هل هذا أوان العودة
إلى الثرى؟
■■■
ضباب
بين سيقانِ الأشجارِ ذوبُ الفِضة
أين اختفى القمر؟
■■■
أحيا في الزهور
تترك نفسك للشمس والريح
أيها البحر؟
■■■
ما خطبك أيتها الريح؟
تارة تجمعين أوراق الشجر
تارة تبعثرينها!
■■■
أيتها الذبابات
حول أي مزار خفيٌّ
كل هذا الطواف؟
■■■
شجرة اللبلاب
لم كل هذا اللف
والدوران؟
■■■
قمر مكتمل
لم الفرح دوماً
في قلبي لا يكتمل؟
■■■
وأنت أيتها الزهرة
أين تبيتين لأجدك صباحاً
بكل هذه النضارة؟
■■■
شاطئ مهجور
لمن تقهقه هذه
النوارس؟
■■■
فراشةُ النار
كيف عرفتْ
أنك من نار؟
■■■
شجرة التوت
ألم يحن الوقت لتهبينا
أوراق العفة؟
■■■
زهرةَ الدفلى
ما حاجتُك بالأشواك؟
تكفيك هذه المرارة
■■■
قطافُ النبق -
لم دوماً شجرة السدر تقُدُّ
قميصي من دُبر؟
■■■
قوس قزح -
لم تضع السماء
حزام أمان؟
■■■
مرآتي -
لم فيك دوماً تزاحمني
شمس الخريف؟
■■■
تمثال الحرية
من الذي يسير؟
أنت أم الغيوم؟
■■■
يغردان
عندما أقترب يصمتان
ترى ماذا كانا يقولان؟
■■■
ما بها هذه المرأة
كلما مرت بأصيص بكلتا يديها
غرفت لقلبها الشذا؟
■■■
يوم عاصف -
نجت أزهاري اليوم
هل يا ترى تنجو غداً؟

* وجدة/المغرب

فجيس - «سؤال لم يُطرح قطّ» (زيت على قماش، 2019).

تاريخ اقتصادي

هيلين يافي: هذه كوبا الحقيقية

سعيد محمد

«اعتقد بعض الناس – وقت سقوط الاتحاد السوفياتي - بأنّ كوبا ستترك الاشتراكية، ربّما هم لا يعلمون. هذه ثورة حقيقية، واستقلال حقيقي» (مزارعة كوبيّة للمؤلفة هيلين يافي)

عندما تنحّى راؤول كاسترو عن منصبه كامين عام للحزب الشيوعي الكوبي في 16 نيسان (أبريل) الماضي، ركزت وسائل الإعلام الغربي على حقيقة أنه للمرة الأولى منذ أكثر من ستين عاماً، لا يشغل أحد من عائلة كاسترو أياً من المناصب السياسية العليا في الجزيرة وأن سقوط النظام الكوبي سيكون وشيكاً. لكن الحقيقة أن تلك اللحظة كانت إشارة واضحة على نضوج الثورة واستمراريّة مشروعها، وانتقالاً سلساً للقيادة بين الأجيال: فالرئيس الحالي للدولة الكوبيّة والأمين الأول للحزب، ميغيل دياز كانيل، الذي سلمه راؤول مقاليد الحكم قبل ثلاث سنوات، وأمانة الحزب في مؤتمره الثامن، لم يكن قد ولد بعد عندما حدثت ثورة عام 1959.

لقد أربك طول عمر الثورة الكوبيّة الأميركيين الذين اعتبروا دائماً أن أميركا اللاتينية حديقة خلفيّة لنفوذها الإمبراطوري، وطالما نجحت خططهم في إسقاط وحصار الحكومات التي يقودها اليسار على امتداد القارة، بصرف النظر عمّا إذا كانت تلك الحكومات قد وصلت إلى السلطة بالانتخابات الديمقراطيّة أو بالبندقيّة. وطوال أكثر من 60 عاماً، لم تألُ الولايات المتحدة جهداً في محاولات إخضاع الجزيرة، واستهداف قادتها، وخنق شعبها في واحد من أطول الحصارات في التاريخ. حصار كلّف كوبا أكثر من 750 مليار دولار من فرص التجارة مع العالم. ولم يتوقف كثيرون - مراقبون غربيّون وتلامذتهم العرب - يوماً عن الحديث عن نهاية قريبة للتجربة الثوريّة الكوبيّة بوصفها من مخلفات مرحلة الحرب الباردة التي طويت صفحاتها ونُقلت إلى الأرشيف. لكن كوبا خالفت توقعاتهم دائماً، إذ استمر نموذج الحكم الاشتراكي في كوبا فترة أطول بعد الحرب الباردة من تلك التي عاشها قبل سقوط الاتحاد السوفياتي (1991). مع ذلك، فإن صورة كوبا في أذهان أغلب الناس بقيت - بفعل البروباغندا الأميركية - كجزيرة عالقة في توستالجيا تاريخ مضى بعيداً عن حقيقة مجتمع حيّ، شجاع، ملهم، دائم التطوّر والتكيّف، ومتمسّك بعناد باستقلال كسبه بالإرادة والنّضال رغم العداء الأميركي الشرس.

هيلين يافي، بروفيسورة جامعية بريطانيّة (من جذور كوبيّة) تقدّم في كتابها «نحن كوبا» (We are Cuba) - نادرة للإطلالة على الحالة الكوبيّة من دون الوقوع في فخ الاستقطاب الأيديولوجي والانحراف المصطلحي في وصف ما يرتبط بها، وبالتالي محاولة تفكيك طلاسم صمودها خارج الشعارات والتنميطات الجاهلة، إذ أن كل تحليل حول كوبا يمكن أن يبدو للبعض نقيض الواقع، اعتماداً على التموضع الأيديولوجي للمتلقّي. ويروي الكتاب - بالإفادة من شهادات وقصص حياة مجموعة متنوعة من الناس في كوبا - استجابة مجتمعهم لكارثة توقّف الدعم السوفياتي عند إطلاق بيريسترويكا غورباتشوف وانهيار الكتلة الشيوعيّة في أوروبا بداية التسعينيات من القرن الماضي. وفق يافي، فإن كوبا ليست حكومة وأهالي، أو دولة وشعباً. فالمواطنون يشاركون بشكل مباشر في نظام الحكم، ويساعدونها على التحدي والتكيّف في وجه الضغوط الخارجية. وحيث يقدّم الغرب كوبا راكدة وشعباً يائساً يحكمه مستبدون، ترى يافي انخراطاً شعبياً في المواجهة وتجديداً جماعياً مستمراً في طرائق السعي لتحقيق النمو جنباً إلى جنب مع العدالة الاجتماعية، وكيفية تحقيق التوازن بين التخطيط الاقتصادي وقوى السوق، واختبار أشكال الملكية المتوافقة مع الاقتصاد الاشتراكي. تظهر الدولة هنا كمؤسسة بحث تعمل بلا كلل على إيجاد حلول مختلفة لهذه القضايا مع مرور الوقت، بينما تستجيب للتحولات في الظروف الاقتصادية العالمية والجغرافيا السياسية.

كانت موسكو لسنوات طويلة المصدر الرئيس لدخل كوبا: فقد دفع السوفيات ثلاثة أضعاف سعر السوق مقابل السكر الذي مثّل في وقت ما 80 في المئة من صادرات الجزيرة. وقد استغلت الولايات المتحدة مرحلة توقف الدّعم السوفياتي لتشديد الخناق السياسي والاقتصادي على هافانا، وعزّزت الحصار عليها من خلال قوانين جديدة (الديمقراطية الكوبية لعام 1992 وقانون هيلمز بيرتون لعام 1996). وقد تسبب تلاقي الضغطين في نقص حاد في إمدادات الوقود أجبر الدّولة على فرض تقنين قاس، واختفت الأدوية من الصيدليات، وانتشر الجوع وسوء التغذية على نطاق واسع، وانخفض الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 35 في المئة في غضون ثلاث سنوات، وهي مستويات ترتبط عادة بالحرب أو الكوارث الطبيعية. وقد ردت الحكومة وقتها بخفض الإنفاق العسكري إلى النصف مع زيادة الإنفاق الصحي والمعاشات التقاعدية الحكومية، وتم تحديد أسعار السلع الأساسية لمساعدة الناس على الحصول عليها. ولكن بما أنه كان لا بدّ من دفع ثمن الواردات بالعملة الصعبة، فقد تدهورت مالية الدولة على نحو غير مسبوق. وعلى المستوى الفرديّ بالنسبة إلى معظم الكوبيين، كانت التسعينيات بالفعل عقداً كارثياً. فبين عامي 1989 و1993، انخفضت الأجور الحقيقية بمقدار النصف وتقلّص استهلاك الأسر المعيشية بمقدار الثلث، ودفع اليأس الآلاف إلى محاولة الفرار إلى فلوريدا القريبة على متن القوارب (يحصل الكوبيون الفارّون من بلادهم على الإقامة في الولايات المتحدة بسهولة). كما شهدت هافانا في آب (أغسطس) 1994، أول تظاهرة مناهضة للحكومة منذ الثورة. ومع ذلك، فقد تفادت كوبا التضخم المفرط والبطالة التي صاحبت سقوط أنظمة الحكم الشيوعيّة في أوروبا الشرقية، وشرع الشيوعيّون الكوبيون بالتعافي تدريجاً في العقد التالي: ففي الفترة بين عامي 2002 و2007، بلغ متوسّط نمو الناتج المحلي الإجمالي 7 في المئة، أي ضعف مستوى أميركا اللاتينية ككل تقريباً. ويرجع الفضل في ذلك جزئياً إلى دعم فنزويلا من خلال النفط، لكن بشكل أساسي فقد أعيد تشكيل بنية الاقتصاد لتقليل الاعتماد على صادرات السكّر، وتمكّنت كوبا من إيجاد مصادر أخرى للدخل بفضل التخطيط الاقتصادي والاستثمارات طويلة المدى التي قامت بها قبل فترة طويلة من غياب الدعم السوفياتي.

ومع ذلك، لم تكن جميع مصادر الدّخل الجديدة في كوبا مفيدة للجميع بشكل متساوٍ، إذ أنشأت السلطات، وحدة نقد بيزّو كوبي موازياً للعملة المحليّة وقابلاً للتحويل للوقوف في وجه الدولار الأميركي كوسيلة للسحب بالعملة الأجنبية. وقد نجح ذلك بشكل عام، ولكنه تسبب في انقسام الاقتصاد فعلياً إلى قسمين: بينما تدفع القطاعات العاملة المحلي، يكسب العاملون في القطاع الخاص - لا سيّما في القطاع السياحي - بالبيزو القابل للتحويل، ما خلق تفاوتات مهمة.

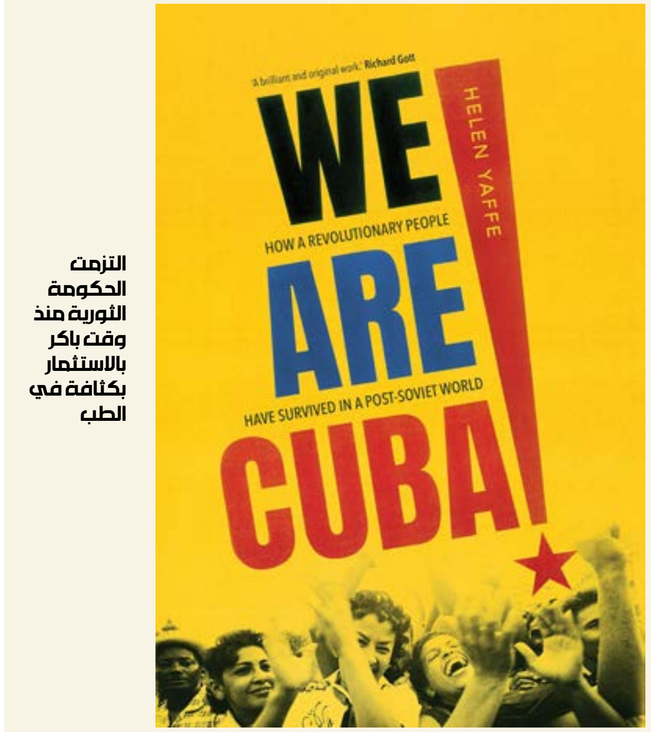

التزمت الحكومة الثورية منذ وقت باكر بالاستثمار بكثافة في الطب

الاقتصاد الرأسمالي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة، عنت أنّ معضلات التعامل مع السوق الدولي بقيت قائمة، لا سيّما في ظل الحصار الأميركي المتصاعد والمتذاكي. كما كان هناك في الخلفيّة دائماً قلق من كيفية انتقال القيادة بين جيل المحاربين القدامى وأولئك الذين ولدوا في الحريّة، وهو أمر طالما شغل بال الزعيم المؤسس فيديل كاسترو. وقد نجح المجتمع الكوبي في عبور الأسوأ. فقد تولى راؤول كاسترو إدارة الأمور لفترة انتقاليّة بعد مرض فيديل ووفاته، قبل تسليمه الأمور كليّة للجيل الجديد، بداية من منصب رئاسة الدولة وانتهاء بمنصب الأمين العام للحزب الشيوعي. تلك التجربة السلسة في الانتقال السياسي، رافقتها سلسلة من الإصلاحات والتجارب الاقتصاديّة والاجتماعيّة بعد عملية تشاور شارك فيها ملايين المواطنين وشكلت مرحلة جديدة في تطور النموذج الكوبي في 300 مساحة: التعاونيات الزراعية، والتجارة الخارجية، وميزانيات التعليم، وترخيص المطاعم، والمرتبات الحكوميّة، والمبيعات الخاصة للشقق والسيارات وغيرها، في تحول واقعيّ من اقتصاد تديره الدولة بأغلبية ساحقة إلى اقتصاد هجين تتعايش فيه القطاعات الحكومية والخاصة، والتخطيط الاقتصادي وقوى السوق مع إعطاء الأولوية دائماً للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمواطنين وليس للنمو السرطاني لمجرّد الربح.

جلب انتخاب دونالد ترامب رئيساً من 2017 شؤماً على الجزيرة، إذ تبنّت إدارته موقفاً أكثر عدائية وتصلباً: فقد صعّد البيت الأبيض خلال السنوات الأخيرة إجراءات الحصار الاقتصادي، وأعاد فرض القيود على السفر ومُنعت التحويلات المالية (رغم استثناء الكنائس والمنظمات الإنجيليّة التي تحصل على دعم أميركيّ سخيّ من ذلك لإبقاء الرجعيّة حيّة بين السكان). ولكن الصدمة الأقسى كانت مترتبات وباء كوفيد 19. إذ تراجعت السياحة بأكثر من 94 في المئة، وتوسع الفارق بين البيزو القابل للتحويل (المعادل للدولار الأميركي) والبيزو المحلي لأكثر من 25 ضعفاً، في حين ظل القطاع العام عموماً عالقاً في فخّ الدّخل المنخفض. وفي الوقت نفسه، يترتب على الحكومة أن تدفع أسعار السوق العالمية للسلع المستوردة بما في ذلك المواد الغذائية والتي بدون دعم حكوميّ لا يمكن لأحد تقريباً تحملها. ولكن بما أنه كان لا بدّ من دفع ثمن الواردات بالعملة الصعبة، فقد تدهورت مالية الدولة على نحو غير مسبوق. وعلى المستوى الفرديّ بالنسبة إلى معظم الكوبيين، كانت التسعينيات بالفعل عقداً كارثياً. فبين عامي 1989 و1993، انخفضت الأجور الحقيقية بمقدار النصف وتقلّص استهلاك الأسر المعيشية بمقدار الثلث، ودفع اليأس الآلاف إلى محاولة الفرار إلى فلوريدا القريبة على متن القوارب (يحصل الكوبيون الفارّون من بلادهم على الإقامة في الولايات المتحدة بسهولة). كما شهدت هافانا في آب (أغسطس) 1994، أول تظاهرة مناهضة للحكومة منذ الثورة. ومع ذلك، فقد تفادت كوبا التضخم المفرط والبطالة التي صاحبت سقوط أنظمة الحكم الشيوعيّة في أوروبا الشرقية، وشرع الشيوعيّون الكوبيون بالتعافي تدريجاً في العقد التالي: ففي الفترة بين عامي 2002 و2007، بلغ متوسّط نمو الناتج المحلي الإجمالي 7 في المئة، أي ضعف مستوى أميركا اللاتينية ككل تقريباً. ويرجع الفضل في ذلك جزئياً إلى دعم فنزويلا من خلال النفط، لكن بشكل أساسي فقد أعيد تشكيل بنية الاقتصاد لتقليل الاعتماد على صادرات السكّر، وتمكّنت كوبا من إيجاد مصادر أخرى للدخل بفضل التخطيط الاقتصادي والاستثمارات طويلة المدى التي قامت بها قبل فترة طويلة من غياب الدعم السوفياتي.

ومع ذلك، لم تكن جميع مصادر الدّخل الجديدة في كوبا مفيدة للجميع بشكل متساوٍ، إذ أنشأت السلطات، وحدة نقد بيزّو كوبي موازياً للعملة المحليّة وقابلاً للتحويل للوقوف في وجه الدولار الأميركي كوسيلة للسحب بالعملة الأجنبية. وقد نجح ذلك بشكل عام، ولكنه تسبب في انقسام الاقتصاد فعلياً إلى قسمين: بينما تدفع القطاعات العاملة المحلي، يكسب العاملون في القطاع الخاص - لا سيّما في القطاع السياحي - بالبيزو القابل للتحويل، ما خلق تفاوتات مهمة.

ديوان

تغريد عبد العال: عرّافة الحيرة والشعر

محمد ناصر الدين

«أثناء مروري السريع على الكلمات/ أخذت موعداً مع قصّة/ لم يكن هناك وقتٌ كافٍ/ للجلوس مع الخسارة/ فقبلتُها في أول الصباح/ حين كنت أعود/ لألمس العشب بين طريقين». تبدأ الشاعرة الفلسطينيّة الزميلة تغريد عبد العال مجموعتها الشعرية الثالثة «العشب بين طريقين» (الدار الأهلية/بيروت، 2021) من نقطة شعرية عالية، أول ما تتجلى في عنوان المجموعة التي يقدمها للقارئ كرحلة بين «طريقين». إنّها منطقة «بين-بين» شعرية تبعث فينا الرغبة في إعادة قراءة الخطاب المدهش للإلهة ديوتيما في مأدبة أفلاطون حول السفر العمودي للحب، والاشتقاق الأفلاطوني لكلمة «ميتاكسو» أو المنطقة الوسطى، أو إحالة أخرى إلى الكتاب الذي أصدره الفيلسوف الفرنسي ميشال سير عام 2006 بعنوان «فنّ الجسور. الإنسان الجسري»، مصرّحاً فيه على نحو مثير: «أنا لم أحلم أبداً إلّا بالجسور، ولم أكتب أبداً إلا عنها، ولم أفكّر أبداً إلّا فيها، وأنا لم أحبّ إلّاها. هذا الكتاب حول الجسور ينتهي كأنّه كتاب كلّ الكتب التي كتبتها».

بهذه اللغة الشعرية في منطقة جسرية وسطى، في الحيرة، في المنتصف بين عالمنا، العالم الذي نعرفه جيداً، المادي والمحدّد، والمنطقة الأخرى، التصاعدية والغيبية والساحرة في غموضها، تبدو عبد العال تنطق في مجموعتها بلسان ديوتيما، إلهة منتصف الأشياء: «شيمبورسكا/ تركت كتابي المفتوح على نصفه/ ليقتفي الأثر/ مدينة أخرى/ تقرأ سير المارة/ بينما كل واحد/ يمشي إلى عمره/ في نصف نهارها أيضاً/ القصة ذاتها/ تُلمع في صفحة بيضاء/ نائية» أو «تحتار العيون/ كيف يصير السؤال خفيفاً/ وكيف تحمله الطرقات نحو قيثارة بعيدة/ حين تركّب للحيرة/ عينين بلاستيكيتين/ تنفع للتحديق مرة أخرى».

إنها الحيرة، والسفر في التفاصيل بين النسبي والمطلق، بين «الطرقات» و«القيثارة البعيدة»، بين تفاصيل الحياة اليومية وشرارة «العروج» اللازمة لكل شعر جيد، وفي هذا السفر يخرج الشعر بقوة كما الهواء: «بينما كانت الكلمات تخرج بقوة/ كنت تقطعين المسافة/ وكانت الحياة أكثر من مكان/ يرتاح في سطر واحد/ لكنك تصرّين على ترك النوافذ مشرعة/ والكلمة مائلة أمام الهواء». فلديوتيما الحق بدعوتنا نحو الجميل، المجهول والسري، نحو العالم العلوي، من أصغر تفاصيل الحياة الصغيرة، كهذا المقطع من قصيدة «شفاه مفاجئة»: «حين أخبرتك أن الماء والهواء/ مثلك يدللان المجهول/ ويضعان له أنفاً/ نبتت لي شفاه مفاجئة». ولكن من منّا قادر على السكنى الدائمة في أعلى سدرة المنتهى؟ ومن هو القادر على نصب خيمته للأبد في أعلى قمة إيفرست؟ لا بدّ من النزول إذن في كل يوم، إلى تفاصيل حياتنا اليومية: «أمسكُ بيدي هندباء برية/ طارت من حقل غريب/ وحملت معها أمنيات ناس غرباء» أو «أحمل مقفل/ أمي وضعته في كأس يانسون»: نحن إذن دائماً بين طريقين، وفي اتجاه ما تبدو حركتنا في اتجاه تخون الاتجاه الآخر. العشب، الثيمة الأخرى في العنوان، وإن ذكّرته اللغة في صيغة الجمع، فقاموسه ومفرداته وشقيقاتها قصائد عبد العال هو أقرب إلى الأنثى في صيغة المفرد: «العشب ينقص كثيراً في الحديقة/ ويترك في فراغه وردة/ الحب يحفر لونه/ حتى إذا امتدت يدي/ تركته فوق الأصابع/ رأيت امرأة/ أتت إلينا/ والقت في وجوهنا الآلام التي قلنا للحياة/أن تحتفظ بها».

حتى في يومياته، لا يتحرر هذا الشعر من الأبطال والقديسين كما يدعو تودوروف في إحدى مقالاته عن الشروط الملازمة لشعر الحداثة، وإنما في خلال رحلته لمعانقة الجميل والشعري، لا تتوانى صاحبته عن استحضار أبطالها، من سيلفيا بلاث: «حتى قبل انتحارها، بقيت سيلفيا أفقية كما تمنّت، كنت أريد أن أشبهها، لكني رأيت انتحارات كثيرة. الجذب الصغير يحاول القفز عن الشجر برسم الأغصان، واتواصل مع الطريق بلمس الكرزات المتدليات بين العيون»، ليحضر غوستاف كليمت أيضاً في نص هو أقرب إلى حوار بين البصري والذهني في القصيدة: «أحب الذهب الضائع/ في اللون البني/ الذهب الملوّن/ الذي تجده أحياناً في الوسادة/ وفي النظرة الصغيرة وراء الباب/ وفي الشقتين المغلقتين على لؤلؤة». المفارقة أن أغلب أبطال عبد العال في «عشب بين طريقين» هم أقرب إلى «الشخصيات القلقة» في اللوحة، والمشهد السينمائي والكتابة والأغنية، ما جعل من تذويب هذه الشخصيات في الحديقة الخلفية للنص أمراً طبيعاً، وبعيداً من التكلّف. الحزن هو الآخر أخذ حصة كبيرة من مجموعة عبد العال، إذ نراه يعبرها من أولها لآخرها، ففي القصيدة الأولى «صوَر»، نقرأ: «الصوَر التي عثرنا عليها في المجاز/ واكتشفنا أنها ليست لنا/ كلها تحاصرنا الآن بالدموع/ هكذا نتأكد جميعاً/ أن الحزن أيضاً عثرنا عليه/ في تلك الصورة». الحزن ذاته الذي نبتت له عينان، وقلب: «حفرة عميقة في الخارج/ يجد فيها القلب/ عيناً صغيرة/ يضع الأطفال عيناً أخرى/ ولا تكتمل الدمية». ستنبت له في القصيدة الأخيرة يد: «يدك/ التي تدرّبها كي تمسك أشياء من خيالك/ جرحتها الأغصان»، لكن ديوتيما سرعان ما تعيدنا بضربة خاطفة من برج الغيم إلى برج الشمس: «هناك جملة اقتبستها من مقطع شعري/ تمشي داخل حياتي/ ورغم أني بكل حذر/ أنتبه للأعشاب التي تنبت فيها/ فإني ألقيها لتمشي وحدها/ أصغي للموسيقى التي تتردد/ وهي تصطدم بالجدار/ وأطل على العصافير التي تهرب من ثقوبها/ ورغم ذلك/ فأنا أعيدها كل مرة إلى مقطعها الشعري».

أبطالها هم دوماً أقرب إلى «الشخصيات القلقة»

رواية

إيزابيل الليندي: «سفينة» الحرب والمنفى

ساري موسى

تشبهُ إيزابيل الليندي (1942) تلميذةً مدرسةً مجتهدةً. في الثامن من كانون الثاني (يناير)، بعد عطلة عيدي الميلاد ورأس السنة التي تقضيها مع العائلة، دائماً ما تبدأ العمل على رواياتها. بعد الانتهاء منه، يمرُّ المخطوط الجديد أولاً على معلمتها الأولى التي تصححه بقلم أحمر، وقد ظلّت الوالدة تقوم بذلك على الرغم من دنوّ عمرها من المئة عام.

إلى جانب هذا الاجتهاد هناك مثابرةٌ أخرى، تبدو للوهلة الأولى قادمةً من العالم الآخر، حيث يستمر المترجم الكبير صالح علماني بتقديم ما قضى حياته يقدمه لنا، إذْ نقرأ اسمه على غلاف رواية «سفينة نيرودا ـ بتلة بحر طويلة» الصادرة أخيراً عن «دار الآداب»، وهي الرواية الأولى التي تصدر بترجمته بعد وفاته. تبدأ الأحداث على جبهات مدريد وكتالونيا وتروبل، خلال الحرب الأهلية الإسبانية، حيث نرافق ابنَي عائلة المالو الكتالونية: فيكتور الطبيب في المشافي الميدانية، ووليام الجندي المقاتل في صفوف الجمهوريين. تنضمّ إلى هذا الثنائي المتناقض روز، راعية المعز وعازفة البيانو، بصفتها ابنة متبنّاة للعائلة، قبل أن تصير الشريك الأنثوي في بطولة الرواية بحكم القلب أولاً، ثم بحكم الحرب التي تفرض ظروفها جاعلةً من بقوا أحياءً يعيشون بموجبها.

يقرأ أستاذ التاريخ مارسيل لويس، والد فيكتور ووليام، مجريات المعركة المرتزقة والبلهاء، والتصدي للعداء الأميركي، وإطلاق العنان لإمكانات ناسها وإبداعاتهم من دون سقوف، ولن يكفّ الاستثناء الكوبيّ على أن يكون استثناء في أيّ وقت قريب.

في مقابل المعاملة اللاإنسانية في بلد الحرية والعدالة والمساواة، الذي لم يستقبل مئات الآلاف النازحين إلا بعد ضغطٍ دولي، وفي ظروف بائسة جعلت موتهم يستمرّ بضراوةٍ أشدّ مما لو ظلوا كانوا يحلقون بأجنحة ملائكة مرتفعين عن هذا العالم غير المتناسب مع براءتهم، برزت المبادرة التي قام بها ديبلوماسي وشاعر تشيلي اسمه بابلو نيرودا، لقطع المحيطين الأطلسي والهادئ بالفي لاجئ على متن السفينة وينبيبغ، التي تم إحياؤها وتجهيزها لهذا الهدف خصيصاً، ونقلهم من ميناء بوردو الفرنسي إلى بلاده التي لم يسمعوا بها من قبل، تلك الأراضي البعيدة، الضيّقة والمتطاولة كدمعةٍ على خدّ القارة المتشبثة بأسفل الكرة الأرضية.

تستقبلهم على الشاطئ عند وصولهم حشودٌ مرحّبة من المواطنين، بينهم طبيبٌ يصبح وزيراً للصحة بعد أيام، ومن ثم رئيساً منتخباً للجمهورية، اسمه سلفادور الليندي. وهذه ليست المرة الأولى التي يدخل فيها نيرودا وصديقه الليندي كشخصيتين ثانويتين في رواية تتناول فترة الانقلاب على الأخير والإطاحة بحكمه، حيث نجدهما في رواية «ساعي بريد نيرودا» للروائي التشيلي أنطونيو سكارميتا.

تصل وينبيبغ في يوم اندلاع الحرب العالمية الثانية، فينجو الإسبان الهاربون من جحيمهم الصغير من ذلك الأكبر، لكنهم بعد نحو ثلاثين عاماً يعيشون ما سبق لهم أن عاشوه في بلادهم، حيث انقلاب عسكري يقوده الجنرال بينوشيه، لم يتطور إلى حرب أهلية في البلد المنقسم بدوره انقساماً حاداً بين يمين ويسار، يطيح بالرئيس الكوديليو فرانثيسكو فرانكو، بعد أبدية من الحكم الفاشي، فيقرران بعد تردّد العودة إلى إسبانيا. لا يتعرفان عليها بعد أكثر من خمس وثلاثين سنة من مغادرتها. الأشهر الستة التي يقضيانها فيها تكون كالمنفى، غربة في بلد مجهول يسوده الحذر والترقب والقلق من كل شيء، في ظل تحوله من بلد أمني إلى ما لم يتبلور بعد. الإقامة في فنزويلا أفضل بكثير من الإقامة فيه. ففي إسبانيا، لا خلال إقامتهما في فنزويلا، يموت يستطيعان أن يجدا عملاً، بينما في كاراكاس يعمل فيكتور في المستشفى ويعلّم في الجامعة، فيما تعلّم روز عزف البيانو، وقد أسست كذلك أوركسترا صغيرة تقودها في الحفلات المتزايدة التي تحييها. يتمكّن الثنائي أخيراً من العودة إلى سانتياغو، التي يجدانها قد تحوّلت إلى مدينة أخرى بعدما مسخها الحُكم الأمني الجديد إلى ما يتوافق مع نظامه الاقتصادي والاجتماعي.

«سفينة نيرودا» رواية حرب ونزوح، وهي أيضاً رواية عن الحب والعائلة ومفهوم الوطن ومعنى المنفى، لكنها قبل أي شيء رواية «واقعية»، تعالج فيها الكاتبة المفاهيم السابقة كلها بهدوء وعقلانية، بعيداً عن الحماسة الزخمة والعاطفة المشبوبة التي تميز التشيليين، والأميركيين اللاتينيين عامة. ربّما يكون هذا تأثير عقود من الحياة الأميركية الشمالية التي تظهر في رواياتها الأخيرة مثل «العشيق الياباني» و«ما وراء الشتاء»، اللتين تتناولان قصتي حب لامرأتين في عمر الليندي الحالي أو يزيد، وتحرمانا من الجرعات العالية للواقعية السحرية لصاحبة «بيت الأرواح» و«حكايات إيفالونا». فالحب الذي يدوم ويحيا هو القائم على المعايشة اليومية والمشاركة والتفهّم، لا ذاك الذي التهب بنظرة وأحرق الحبيبين، ثم انطفأ بمثل سرعة اضطرامه. والذي يسكن القلب هو من تراه العين كما يقول المثل، لا من يقيم في الذاكرة ثم ينسحب منها تدريجاً مع مرور السنين. أما الوالدان فهما من ربّيا، والعائلة هي من احتضنت. كذلك الوطن، فالوطن هو الذي يعطينا ما نحتاجه، لا الذي يأخذ منا ما كان لنا. إن لم يكن هكذا فهو المنفى.

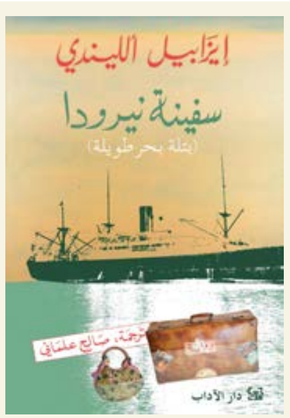

تبدأ الأحداث على جبهات مدريد وكتالونيا وتروبل، خلال الحرب الأهلية الإسبانية

أوراق

الأبجدية العربية القديمة والحديثة

زكريا محمد *

الأبجدية العربية التي نكتب بها حديثة نسبياً. والتقدير العام عند الباحثين أنها أخذت بالظهور في حدود القرن الثالث الميلادي، متطوّرة عن الأبجدية النبطية، التي تطورت بدورها عن الآرامية. بالتالي، فهي حفيدة الأبجدية الآرامية. ولدينا جملة من النقوش يُعتقد أنها كُتبت في فترة ما بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين، ويعدها الباحثون ضمن المرحلة الانتقالية بين الأبجدية النبطية والأبجدية العربية الحالية. وقد وصلت الأبجدية العربية إلى مرحلة الاستقلال التام بين حدود القرنين الخامس والسادس الميلادي في رأي غالبية الباحثين.

لكن يجب القول إن اللغة العربية، بلهجاتها المختلفة، كانت قبل الأبجدية النبطية وقبل الأبجدية العربية الحديثة المنبثقة عنها تُكتب بأبجدية مختلفة تماماً، يمكن تسميتها بالمسند الشمالي، قياساً إلى خط المسند الجنوبي في اليمن. والمسندان يتفقان في رسم الغالبية الساحقة من الحروف، وهناك اختلاف في عدد قليل من الحروف. وقد ظلّت هذه الأبجدية حيّة في المناطق البدوية، على أطراف الصحارى وفي أعماقها، حتى وقت قريب من زمن الإسلام. أما في المناطق الحضرية، فقد توقفت الكتابة بالمسند الشمالي في حدود القرن الثالث الميلادي، وحلّت محلها النبطية. ولدينا نقش مكتوب بالنبطية والمسند الشمالي، يعطينا فكرة عن كيف حلّت النبطية بالتدريج محل خط المسند الشمالي. عُثر على النقش في قبر في مدينة الحجر (مدائن صالح)، ويقدّر بأنه كتب في حدود عام 270 ميلادية. يُدعى النقش «نقش رقوش» باسم المرأة التي دُفنت في القبر. وأدناه نسخة مصنوعة مطابقة للنقش.

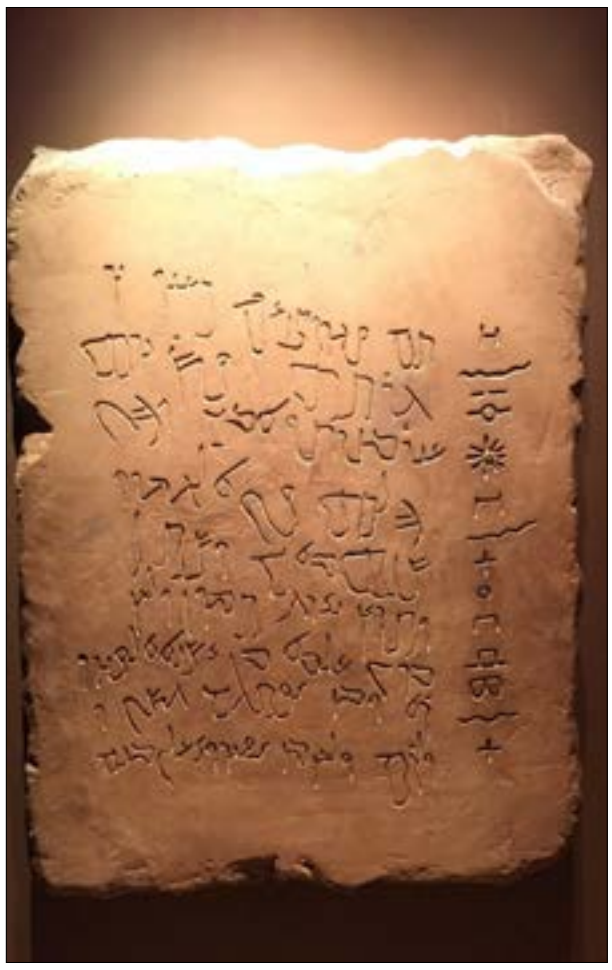

إلى يميننا في الصورة كتب اسم المتوفية بالمسند الشمالي (زن رقش بنت عبد منت)، أي «هذه رقوش بنت عبد مناة». أما النص الرئيسي إلى اليسار، فهو مكتوب بالأبجدية النبطية. وهذا دليل على أن المسند الشمالي كان يُهجر تدريجاً في الحواضر، ويحل محله الخط النبطي.

انطلاقاً من ذلك، يمكن القول إن تجمّعات البدو الرحّل هي التي حافظت بإصرار على الاستقلال الأبجدي لسكان شمال الجزيرة العربية. إذ لم تتمكّن الأبجدية الآرامية ولا النبطية من كسر أبجدية المسند الشمالي بين هذه التجمعات. وظلت مستعملة حتى تمكّنت الأبجدية العربية الحالية من إزاحتها. وأقدم النقوش العربية التي كُتبت بالمسند الشمالي تعود على الأقل إلى القرن السادس قبل الميلاد.

على أي حال، فقد تعايشت أبجدية المسند والأبجدية العربية الحالية فترة من الزمن. ولدينا عدد ضئيل جداً من النقوش المكتوبة بهاتين الأبجديتين معاً. خذ مثلاً النقش في الصورة أدناه من منطقة نجران، المكتوب بالأبجديتين العربيتين القديمة والحالية. يقول النقش بالأبجدية العربية الحالية، وحسب القراءة السائدة: «الهيثم بن بشر يؤمن بالله». ويقول بأبجدية المسند «الهيثم» فقط «بالأخضر»، وهو ما يعني أن النقش كان موجهاً لقارئ يقرأ بالأبجدية العربية الأحدث. لذا كان النص بالخط العربي أطول، وكان النص بالخط المسند مختصراً.

النقش مزدوج الابجدية من منطقة نجران

بناء على القراءة أعلاه، فقد افتُرض أن هذا النقش كُتب في بداية الإسلام، أي في أوائل القرن السابع الميلادي. ذلك أن صيغة «يؤمن بالله» صيغة إسلامية. لكنني برهنت في ورقة لي على أن النقش من قبل الإسلام، وأنه يعود إلى القرن السادس الميلادي ربما. كما بينت أن النقش يقول: «الهيثم بن بشر يؤمّن بالحلة» وليس «يؤمن بالله». بالتالي، فهو نقش يتحدث عن تأمين القوافل التجارية في مكان يدعى «الحلة»، وهو على الأغلب المكان الذي تحلّ، أي تنزل، فيه مؤقتاً في مسيرها بين جنوب وشمال الجزيرة العربية. بذا فهو نقش يتحدث عن «عهود الأمان» التجارية التي أخبرتنا عنها المصادر الإسلامية القديمة.

نقش آخر مزدوج الأبجدية

وقد عثرتُ مصادفة على نقش آخر مكتوب بأبجدية المسند الشمالي وبالأبجدية العربية الحالية، كما نرى في الصورة أدناه.

الكتابة بالخط العربي الحالي إلى يسارنا، وهي مكتوبة أفقياً، والكتابة بخط المسند الشمالي إلى يميننا، وهي مكتوبة عمودياً، أي تُقرأ من الأعلى للأسفل. ويمكن القول إن قراءة المسند الشمالي أسهل بكثير من الخط العربي. فالحروف العربية متشابهة جداً في أحيان كثيرة. مثلاً: الحرف الثاني في النقش بالخط العربي قد يكون دالاً، أو ذالاً، أو راء. وكذلك الحرف الرابع، الذي قد يكون حاء أو جيماً أو خاء. كما أن الحرف الأخير يمكن أن يُقرأ حاء أو خاء أو جيماً أو حتى عيناً. بذا فالكلمة يمكن أن تقرأ «بديجح، بديجح، بذيجح، بزيجح، بزيجح، أو بزيجع إلخ». وهكذا فليس هناك يقين بسبب تشابه الحروف في الأبجدية العربية التي تطوّرت عن النبطية.

أما الكتابة بخطّ المسند إلى اليمين فسهلة ومؤكدة أو شبه مؤكدة. فقط حرف واحد من الحروف الخمسة يبدو غير مألوف لنا. فالحرف الأول من الأعلى هو الباء. أما الحرف الثاني فهو الزاي، وهو مختلف إلى حدّ ما عن زايات المسند الشمالي، لكن من المؤكد أنه زاي. أما الحرف الثالث، الذي يمثل شحطة صغيرة، فلا يمكن لنا إلا أن نقرأه ياء لأن الحرف الثالث هو الياء في الكلمة بالأبجدية العربية. وهو حرف منقوط ولا يمكن أن يقرأ إلا ياء. والنقشان يكرّران الاسم ذاته.

بناء عليه، فهذه هي المرة الأولى التي نعثر فيها على حرف ياء على شكل شحطة في كتابات المسند الشمالي. في العادة تكون مثل هذه الشحطة نونا. ومن دون المقارنة بالأبجدية العربية الأحدث لم يكن بإمكاننا قراءة هذه الشحطة على أنها ياء.

الحرف الرابع هو الحاء بكل تأكيد. أما الحرف الخامس فهو الجيم. في المسند شبه بين الجيم والعين في المسند الشمالي أحياناً. فالجيم في العادة ليست دائرة، بل زاوية أو شكل بيضوي. لكنها تكون أحياناً دائرة مثل العين. والفارق أن دائرة الجيم تحوي في داخلها نقطة، في حين أن العين غير منقوطة.

بذا فنحن مع الاسم «بزيجح» بالأبجديتين. وهو اسم علم لم أعثر عليه في القواميس العربية. وهكذا، فقد مكّنتني الكتابة بأبجدية المسند من قراءة الكلمة بالأبجدية العربية الحديثة بشكل صحيح. ولو لم يكن الكاتب قد كتب اسمه بأبجدية المسند، لكان من الصعب جداً قراءة الكلمة بأبجديتنا العربية.

بزيجح الثاني

وقد عثرت على الاسم «بزيجح» مكتوباً بخط المسند الشمالي فقط في نقش آخر، كما نرى في الصورة أدناه، مما يدل على أن الاسم كان متداولاً ومعروفاً. قبل الاسم هناك في ما يبدو لام الملكية. وهي ليست واضحة تماماً، لكن يمكن قراءتها في ما أظن.

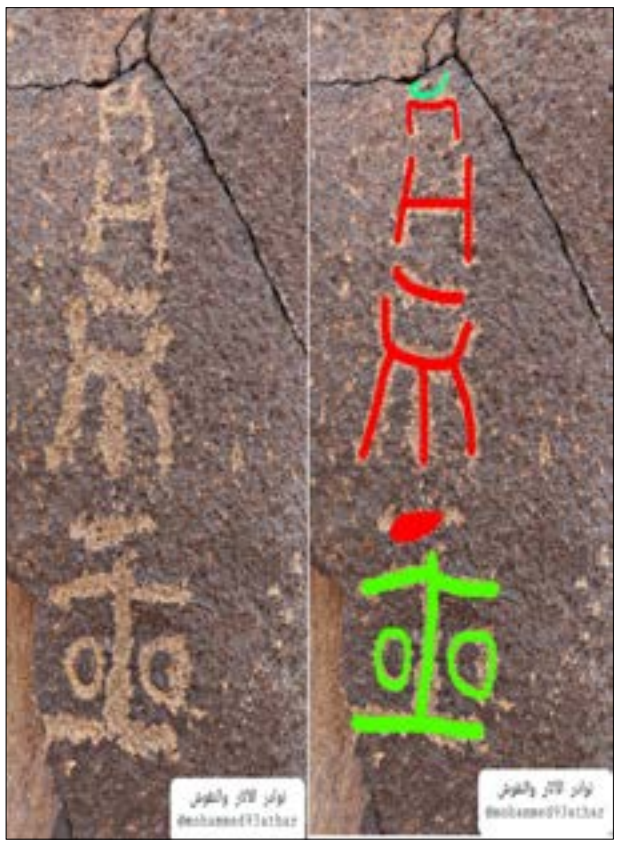

أما الحرف الثاني فهو الباء بوضوح. الحرف الثالث هو حرف الزاي. وتصميمه أقرب إلى حرف الظاء في المسند الشمالي عادة. لكنه هنا زاي. والحرفان ينقلبان عن بعضهما في لهجات شمال الجزيرة العربية. الحرف الرابع هو الياء. وهي تشكل شحطة كما في النقش السابق. وهو ما يؤكد أن حرف الياء يكون أحياناً على شكل شحطة. أما الحرف الرابع فهو الحاء، وهو يختلف عن حرف الحاء في النقش السابق بأن له اذنين. الحرف الأخير جيم. وهو ليس واضحاً تماماً. لكنه في الأصل شكل بيضوي مفرغ من داخله كما أفترض. لكن الفراغ ضاع هنا. بذا فلدينا كلمة «لبزيجح». واللام للملكية. عليه، فبزيجح يعلن أن النقش ملكه، أي أنه هو من كتبه. لكن هناك احتمال أنه يعلن ملكيته للرسمة التي تحت النقش، والتي لوناها بالأخضر. بذا فالنقش يعني: لبزيجح هذه الرسمة، أو هذا الحفر.

والخلاصة أن الكتابة باللغة العربية أعمق في التاريخ بكثير من الأبجدية العربية الحالية. فلدينا نصوص عربية تعود إلى القرن السادس أو الثامن قبل الميلاد، وربما أبعد، بينما أقدم النقوش بأبجديتنا الحالية لا تعود إلى أبعد من القرن الثالث الميلادي. بذا فهناك ألف سنة من الكتابة سبقت الكتابة بأبجديتنا الحالية.

* شاعر فلسطيني